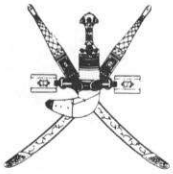

سلطنة عمان

وزارة التراث القومي والثقافة

الضياء

تأليف الشيخ العلامة

سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري

الجزء الاول

الطبعة الاولى
١٤١١هـ-١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

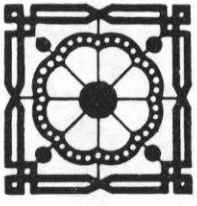

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كرم أمة الإسلام بأن وفق أبناءها إلى جادة الحق ، وسلامة المنطق ، وحملهم في البر والبحر ، ويسر لهم سبل العلم والمعرفة ، فأقبلوا ينهلون من معينه ، فتفقهوا وتعلموا وعلموا واستنبطوا فأثروا الحضارة العالمية بكل جديد من فنون العلم والمعرفة ، وخلدوا لأمتهم تراثا حضاريا إنسانيا مما جعل من الأمة المسلمة أمة الحضارة العلمية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها [وأصلي وأسلم على سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله ، خير الأمة وأفصح من نطق بالضاد إلقائل «العلماء ورثة الأنبياء» وعلى آله وصحبه وسلم وبعد . .

فإنه مما لم يعد بخاف على أحد بأن علوم العرب إبان ازدهار دولة الإسلام كانت أثمن ما اكتنزوه خلال تاريخهم المديد الحافل بمجريات عظام الأحداث ، وعليه لم يكن من الغريب أن يعتني المستنيرون من رجال العلم والسياسة والحكم بتشجيع إحياء ذلك النوع من التراث الذي يصلح لإحياء حضارة عربية إسلامية ، وأن يتخذ انتشار العلم وتقدمه لمدى وجيز من الزمن شيئا من طابع الحركة العضوية النامية فإذا به يمتد في كل جزء من العالم الإسلامي دونما اهتمام بالحدود السياسية والجغرافية .

والحق إننا لو نظرنا نظرة فاحصة في مؤلفات الرازي والفارابي والخليل بن أحمد الفراهيدي العماني وابن دريد وابن رشد وابن خلدون وابن الهيثم والبيروني ومن إلى هؤلاء ، لما وسعنا إلا أن ننحني إجلالا أمام تلك العقليات الجبارة ، والعبقريات الفذة والعلم الغزير والثقافة الواسعة والنظريات العميقة والآراء السديدة والأفكار الرشيدة التي أنارت الطريق لغيرهم من الأمم فاستفادوا منها أيما استفادة ، وان مدن الإسلام لو تكلمت لأخبرتنا بما قدمه هذا الدين الحنيف من حضارات وكشوفات علمية ، ومؤلفات ، ونظريات ، وما فيها من شعراء وأدباء ومفكرين وكتاب وفلاسفة وفقهاء ومؤرخين ونقاد ومشرعين ، ولنراجع ذاكرة

التاريخ عله يحصي لنا ما كان في تلك المدن من متاحف وكنوز وآثار ومخطوطات مما لم ير التاريخ لها مثيلا في شعب من الشعوب أو أمة من الأمم .

وهنا أجدني ملزما بالوقوف إلى جانب الناظرين إلى تراثنا بعين الابن المتصل بتراثه لا بعين الابن الجحود المنبت الصلة بذاك التراث الذي ينظر إلى ما خلفه الأجداد نظرة ريبة وتشكك ، على أن موقفنا هذا إزاء تراثنا ينبغي أن يدحض حجج المنكرين لأهمية ما يحتويه بالدلائل القائمة على أسس من البحث والتنقيب ووضع اليد الحانية على ما يزخر به ذلك التراث من نظريات تتناول أدق التفاصيل بحيث لا تدع شاردة ولا واردة إلا وقد الموا بها من جميع جوانبها بل أشبعوها درسا ونقدا وفحصا وتمحيصا .

وهنا يأتي دور المحقق المنصف الذي يحتسب لنفسه الصدق والأمانة وسعة الاطلاع خاصة في مجالات اللغة متونها ونحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها ، ثم هو إلى جانب ذلك عاشق متيم مخلص للدور الذي يضطلع به يتسم بالفضيلة والصبر والاناة ، لأن تحقيق التراث مهمة ليست بالسهلة ، وأن طريقها غير مفروش بالرياش والورود ، فإذا ما دفعته الرغبة في العمل والميل إليه ، وتوفر النسخ الموثوق فيها ذات الصلة بموضوعه ، نضيف إلى ذلك التشجيع المادي والمعنوي ، فإننا لا شك نجد انفسنا أمام محقق نذر نفسه وحياته وجل وقته لإخراج ما أوكل إليه من أمانة التحقيق بأبهى صورة وأجمل مظهر .

إن سجل عمان الحضاري حافل بالأمجاد التي يعتز بها كل عربي مسلم ويفاخر ، فعمان كانت على امتداد الحقب وتوالي العصور المنبع الثر الفياض الذي ارتوى من مناهله العذبة عباقرة الأدباء ، وفطاحلة الشعراء وكبار العلماء والمفكرين ، ممن حملوا مشاعل من نور ، وامتطوا صهوات العلم ، فانقادت لهم الركاب ، ودانت لهمتهم الأصقاع ، وحلق نجمهم في السماء يناظر السها علوا وشموخا ، فأضحينا نرى في كل جدث من أجداثهم حرما يشار اليه بالبنان .

وما الجزء الأول من كتاب الضياء لمؤلفه العالم والمؤرخ العماني سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (والذي كان لي شرف الحظوة بكتابة هذه الخواطر عنه وذلك

من قبل محققه الشيخ ناصر بن راشد المنذري) إلا ثمرة من ثمار ذلك التراث الحضاري والإنساني الذي أخذ هذا البلد المسلم على عاتقه اعادة الحياة اليه انطلاقا من حرصه على التمسك بالقيم والمثل التي عض عليها السلف الصالح بالنواجذ ، حيث تقوم وزارة التراث القومي والثقافة ـ جزاها الله عن جميع المسلمين خيرا) في اطار سعيها الحثيث الجاد إلى نشر الوعي والثقافة والتعريف بأمجاد عمان وحضارتها بنشر هذه الكنوز بعد تنقيحها وتحقيقها لتتدفق شلالات المعرفة إلى كل بيت في عمان .

ويعتبر الضياء في أجزائه الأربعة والعشرين من أبرز ما ألف في تراثنا في الفقه والأحكام الشرعية حيث استطاع العوتبي بما عرف عنه من حذق وسعة اطلاع أن يجمع في موسوعته هذه كل ما استطاع أن يستوحيه من الكتاب الكريم والسنة النبوية المشرفة والأثر وان القارىء الممعن لمقدمة (الضياء) يستطيع أن يكشف بسهولة الداعي إلى تأليفه وتصنيفه حين خيف على هذا العلم طموس آثاره ، وعلى المذهب ذهاب متحمليه ، وقلة طالبيه ومنتحليه وان مثل ذلك المعنى وغيره من المعاني وردت في مقدمته نصا : (أما بعد فهذا كتاب دعاني إلى تأليفه وحداني إلى تصنيفه ، ما وجدت من دروس آثار المسلمين وطموس آثار الدين ، وذهاب المذهب ومتحمليه ، وقلة طالبيه ومنتحليه ، فرأيت الإمساك عن احيائه مع القدرة عليه ووجود السبيل إليه ، ذنبا وشؤما ، فألفته على ضعف معرفتي ، ونقص بصيرتي ، وكلة لساني وقلة بياني طالبا للأجر لا للفخر ، وللتعلم لا للتقدم ، وللدراسة لا للرئاسة ، غير مدع للعلوم تصنيفا ، ولا مبتدع للفنون تأليفا لكن لأحيى به نفسا ، وأفزع اليه أنسا ، وأرجع اليه فيما انسى ، ولأستصبح بضيائه مهتديا ، واصبح بما فيه مقتديا ، إذا لتشكك معترض ، والنسيان ذو عفون ، والحفظ خؤون ، ولكل شيء آفة ، وآفة الحفظ النسيان) .

هذه هي بعض الجوانب المهمة التي دفعت بالعوتبي إلى تأليف موسوعته العلمية (الضياء) فالعوتبي كما نعرف عنه علمه وسعة اطلاعه ، وغزارة انتاجه هو كذلك ، أستاذ بارع ومحقق قدير استطاع أن يشخص الداء ويصف له الدواء المناسب ، ويتضح ذلك في المنهج العلمي الذي اتبعه في مؤلفه حيث أوضح

الداعي للتأليف وللتسمية ، وانه تسهيلا على القارىء يمكن استخلاص النقاط التالية :-

● ان الدافع للتأليف انبثق من غيرة العوتبي على علوم الفقه ، وما وجد من دروس آثار المسلمين وطموس آثار الدين ، وذهاب المذهب ومتحمليه ، وقلة طالبيه ، ومنتحليه .

● وأنه سماه (الضياء) ليستصبح بضيائه مهتديا ، وليصبح به مقتديا وليحفظ علوم الفقه من الضياع حين وجد ان لكل شيء آفة وان آفة الحفظ النسيان .

● انه صنف كتابه في فصول وآداب وأبواب ثم هو إلى جانب ذلك لم يخل من حكمة عجيبة وكلمة غريبة ، ومثل سائر وبيت نادر وسنن واخبار ومواعظ وأشعار ، وما إلى ذلك من صنوف العلوم ، (إذ كانت العلوم تتشابك اتباعا ، والمعاني تتشارك اتساعا ، والفنون تستدعي الفنون والحديث ذو شجون) .

● كما نجد العوتبي في مقدمته للضياء يدافع عن الإطالة والإكثار غير الموجبتين للترك والملالة .

● كما يفهم من المقدمة أن العوتبي قصر موضوع كتابه على (الفقه) باعتباره أصل العلوم وأولها والى مثل ذلك نقرأ مانصه : (وقد فسرت جميع ما ذكر في هذا الكتاب من لفظ غريب ، ومعنى عجيب ليكون مستغنيا بتفسيره عن الرجوع فيه إلى غيره ، على أن الغرض المقصود به ، والغرض الموضوع له هو (الفقه) الذي هو أصل العلوم وأولها وأفضلها وأجلها وامامها وأكملها ، ومنه تستنبط كل معرفة ، وعنه تضبط كل صفة ، وما أردت بتأليفه اعتسافا في الدين ، ولا قصدت فيه خلافا على المسلمين ولا بدلت مقالاتهم مائنا ولا عدلت عن تأويلاتهم مباينا ، بل قفوت آثارهم واطيا ، ونحوت اختيارهم مواطيا . . وقد ذكرت شيئا من أقاويل قومنا الموافقة لنا ، والمخالفة لأقاويلنا في مواضيعها من الكتاب ، إذ العلم بذلك خير من الجهل به) .

أية أمانة علمية تلك التي يدعو اليها العوتبي في مقدمته ، وأية دقة منهجية نلمحها في كل خطوة يخطوها في مؤلفه هذا ، وأي كتاب هو الضياء بما يحويه من فكر موسوعي حيث صب فيه مؤلفه خلاصة أفكاره وتجاربه في ظاهرة للتأليف تعتبر

ميزة سبق لحركة التأليف العربية والاسلامية تتقدم بها أمتنا على مثيلاتها من الأمم . بل ان المدقق في مقدمته يرى تجرد المؤلف من الأثرة والادعاء بأنه وصل السها في مجالاته ومداراته ذلك حين نجده يقول ما نصه : (فمن وقف على هذا الكتاب فلا يعجلن بالجهالة عليّ ، ولايرسلن هجر المقالة اليّ ليتصحح ما قلته ، وليتصفح ما قدمته عساه يجد لي سعة وعذرا ، وليتبين صحة أمر ثم لا يستثقلنه رائيا ولا يملّنه قارئا ، فان الكتاب كلما كبر حجمه كثرت فوائده وعلمه) .

ويختتم هذه المقدمة بنصح يوجهه إلى المؤلف حيث يقول ما نصه : (فلو استطعت أن أجمع كل العلوم في هذا الكتاب لفعلت ، لكن ذلك لم يكن لمتقدم ولا يكون لمتأخر ، فهو وإن كان كبيرا فبالقياس لغيره يكون صغيرا ، وقد جمع ما تفرق في سواه ، وهو مع ذلك بحمد الله مهذب التصنيف مصوب التأليف إلا أن يعترضه طعن حاسد ، أو تمرضه عين معاند ، وما الباطل بمقبول من ذهله ، ولا الحق بمنقول عن أصله والسكوت خير من الخلاف العاري من البرهان ، والخرس افضل من قول بغير بيان . . فيجب على من الف كتابا أن يقصد به تأييدا للدين وارشادا للمسلمين وأن يصحح كلامه ، ويوضح نظامه ويحذر غلطات الكلم ، وسقطات القلم ، فإنه يعرض علمه وعمله وعقله وحقه وجهله) .

وانه تعميما للفائدة وفي ضوء التعريف بالعوتبي ومؤلفه الضياء والذي تم نسخ الجزء الأول منه بعون الله تعالى جلت عظمته مساء يوم الجمعة ١٣٨٣هـ ، بقلم العالم العماني سالم بن حمد الحارثي وقام بتحقيقه العالم العماني ناصر بن راشد المنذري أرى لزاما عليّ ـ وقد سنحت لي فرصة ـ أن اشير الى ان للعوتبي أكثر من مؤلف وفي أكثر من ميدان وأن العوتبي نفسه يذكر في كتابه (الأنساب) انه تقدم له كتاب في (الحكم والأمثال) : وبعده كتاب (معجم الخطابة) في الخطب والرسائل) ، وانه جعل كتاب (موضح الأنساب) (واسطة) ، وبعده كتاب (ممتع البلاغة) في الوفود والوافدين) واليه كتاب (انس الغرائب في النوادر والأخبار والفكاهات والاسمار) .

أما (موضح الأنساب) فقد صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة في مجلدين ، وان المضطلع على مقدمة العوتبي في (الانساب) يدرك مدى اسهام هذا

المؤلف في اثراء فن الأنساب واقتفاء اثر من سبقوه في هذا المضمار ممن اهتموا بأنساب العرب ، كما يتضح من هذه المقدمة اشارته إلى غرضه ومنهجه حيث جعل موضحه في الأنساب كتابا جامعا كبيرا مشتملا على ذكر شيء في مبتدأ الخلق والملائكة وقصة آدم عليه السلام وولده من بعده وما كان من الأحداث التي كانت بعد نوح وقبل ابراهيم عليهما السلام وما كان بعدهم من حديث عاد عليه السلام ثم ذكر النسب الشريف للنبي عليه الصلاة والسلام ، وذكر اسماء القبائل العربية وبطونها في جاهليتهم واسلامهم وغيرهم من الامم ، ثم جعل فيه شيئا من الاخبار وشواهد من الاشعار معتمدا في كتابه ما اتبعه رواة الأحاديث ومؤرخو العرب القدامى من اتباع طريقة الاسناد راويا عن أكثر من أربعين من قدماء المؤرخين والمحدثين ، جامعا في كتابه بين الانساب والايام والوقائع ، فاقترب بصنيعه هذا من ربط هذا العلم (الأنساب) بعلوم أخرى مثل التاريخ ، ولذلك فليس غريبا ان اجدني أميل الى القول بأن هذا الكتاب هو في (التاريخ والأدب والاشتقاق والأنساب) ولا يقتصر على (الأنساب) فقط وإن كنا نجده في ذلك كله يعتمد كثيرا خاصة في تعليل الأسماء على كتاب الاشتقاق لابن دريد المؤلف العماني المشهور .

وعبر هذه المقدمة أجدها فرصة سانحة لنعرف بايجاز شديد بمؤلف العوتبي الكبير بل بمعجم العوتبي (الابانة) الذي يكشف عن عالم متبحر في اللغة وعلومها ، حيث ان مخطوطة (الابانة) تعتبر فريدة من نوعها في تأكيدها على اهتمام المؤلفين العمانيين بدراسة وتصنيف شتى المعارف الإنسانية خاصة فنّ المعاجم اللغوية ، وانه إذا عرف عن الخليل بن احمد الفراهيدي العماني بأنه أول من وضع علم موسيقى الشعر ، وأول من صنف المعاجم اللغوية ، وكذلك ما عرف عن ابن دريد ودرايته في علوم اللغة والاشتقاق ، فإن العوتبي في (الابانة) يأتي ليضيف إلى هذه الحقائق المعروفة حقيقة أخرى نحو اهتمام المؤلفين العمانيين في هذا المجال ، وسبقهم إلى التصنيف في مجال المعاجم ، فالابانة يعتبر من اقدم المعاجم العربية بعد معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي العماني ، وهو أيضا من الناحية التاريخية أسبق من لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز ابادي إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن العوتبي عاش فيما بين القرنين (الرابع والخامس) الهجريين ، معتمدين في ذلك على ذكر من نقل عنهم أو عاصرهم من

علماء هذين القرنين .

وإن مما يزيد في قيمة معجم (الابانة) للدارسين والباحثين هو المنهج العلمي الدقيق الذي اتبعه العوتبي في تقديمه لمفردات معجمه ، فهو يبدأ بالحروف من حيث ترتيبها الهجائي ، موضحا مخرج كل حرف ، معرفا فيما اذا كان شفويا او لهويا او حلقيا ثم يشير إلى عدد ورود ذلك الحرف في القرآن الكريم ، مبينا وضعه وفق حساب الجمل ، ذاكرا في نهاية الباب الأمثال العربية التي تبدأ بذلك الحرف .

ومعجم الإبانة كما تشير الفهارس القديمة جزآن ، وكلاهما في ملاك وزارة التراث القومي والثقافة وان المتصفح للجزء الأول من هذه المخطوطة للعوتبي الصحاري (نسبة إلى عوتب في صحار) يرى أن الانتهاء من نسخها قد تم الفراغ منه سنة ٩٦٧هـ ، والجزء الثاني ثم الفراغ من نسخه سنة ٩٨٤هـ ، وكلاهما بخط الناسخ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد .

راجين من الله العلي القدير أن يجد هذا المؤلف طريقه إلى قلوب المتشوقين للعلم ، الحافظين للعهد ، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وأن يديم علينا في سلطنتنا الحبيبة نعمة الأمن والإستقرار والطمأنينة في ظل وكنف مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، وأن يكلل بالسداد ما تقوم به وزارة التراث القومي والثقافة من أعمال جليلة في حرصها على إحياء تراثنا ، ونشر الوعي والثقافة في ربوع وطننا الحبيب ، والله نسأل للجميع التوفيق والهداية ، نعم المولى ونعم النصير .

محمد علي الصليبي

الثلاثاء ٢٦ من ربيع الأول ١٤١١هـ

الموافق ١٦ من أكتوبر ١٩٩٠م

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تدركه الأعين موجودا . ولا تصفه الألسن محدودا . ولا يكيفه الفكر معدودا . ولا تعرفه الخليقة والدا ولا مولودا . أحمده على نعمه وآلائه . وأشكره على حسن قسمه وبلائه . وأعوذ به من نقمه وابتلائه حمدا إثر حمد . وعودا بعد بدء . وأوحده خالقا . وأمجده صادقا . وأعبده رازقا وأتوكل عليه واثقا . وأستعين به محقا . وأشهد أن لا اله إلا هو الله الأول بلا غاية . والآخر بلا نهاية . الذي قدر فأحسن التقدير . ودبر فأحكم التدبير . وملك الاشياء فهو عليها قدير . وعلمها جملة فهو بها خبير . الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وأشهد أن محمداً عبده النبي ، ورسوله الأمي ، وحبيبه الصفي ، أرسله بالقرآن العربي والبيان الجلي . والبرهان النبوي فأوضح به المحجة وأقام به الحجة على من بلغته دعوته أو وصلته رسالته . وهدى به من الضلالة وبصر به من الجهالة ، فلم يزل لله طائعا وبأمره صادعا . وإليه داعيا . ولأمته هاديا . وعن المعاصي ناهيا وبما أمر به مُبَصّرِا . وبالجنة مبشرا . ومن النار محذرا . حتى قبضه الله إليه . ﷺ وأمره قد ظهر . ونور الدين قد بهر وعز الإسلام قد قهر والشرك منقمع . والشك منقذع . والحق متبع والقول مستمع . ﷺ وعلى آله الأتقياء وسلم تسليما .

أما بعد فهذا كتاب دعاني إلى تأليفه وحداني إلى تصنيفه . ما وجدت من دروس آثار المسلمين وطموس آثار الدين . وذهاب المذهب ومتحمليه وقلة طالبيه ومنتحليه ، فرأيت الامساك عن إحيائه مع القدرة

عليه ووجود السبيل إليه ، ذنبا وشؤما . وذما ولؤما . فألفته على ضعف معرفتي ونقص بصيرتي وكلة لساني وقلة بياني طالبا للأجر لا للفخر وللتعلم لا للتقدم . وللدراسة لا للرئاسة . غير مدع للعلوم تصنيفا . ولا مبتدع للفنون تأليفا لكن لأ حيي به نفسا وافزع اليه انسا . وارجع اليه فيما انسى . ولأستصبح بضيائه مهتديا واصبح بما فيه مقتديا . اذا لتشكك معترض . والنسيان ذو عفون . والحفظ خؤون ولكل شيء آفة وآفة الحفظ النسيان .

قال ابن عباس : إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه ينسى قال وسمي آدم إنسانا لأنه عهد إليه فنسى .

وقال الشاعر :

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنـه يتقلب

وقال الطائي :

ولا تنسين تلك العهود فانما سميت إنسانا لأنك ناسي

وقال اللغويون إنما سمي القلب قلبا لتقلبه وكثرة تغيره وأصله من قلبت الشيء أقلبه وقد ذكرت هذا في كتاب الإبانه وقد روي عن النبي ﷺ من طريق أنس بن مالك انه قال : قيدو العلم بالكتاب وروي أن رجلا شكا إليه ﷺ النسيان فقال : استعمل يدك يعني اكتب حتى ترجع إذا نسيت إلى ماكتبت وقال بعض ما كتب قرَّ وما حفظ فزَّ وقال مالك بن شيبان من شأن ابن آدم أن لا يعلم كل شيء ومن شأنه أن يعلم كل شيء ثم ينسى . اللهم إني اشكو اليه ما فقدت من عقلي ويقال القلب نور والغم ظلمة وقال ابن عباس ـ رحمه الله ـ ما اجتمع علم وشغل في قلب قط وقال بعض البلغاء إن هذه الأذهان والآداب نوافر تند عن عقل الأذهان فاجعلوا الكتب عنها حماة والأقلام عنها رعاة .

وقال الخليل : اجعل ما في الكتب رأس المال وما في قلبك للنفقة وجعلت هذا الكتاب ذا أصول وآداب وفصول وأبواب ولم أخله من حكمة عجيبة وكلمة غريبة ومثل ساير وبيت نادر وسنن وأخبار ومواعظ وأشعار إذ كانت العلوم تتشابك اتباعا والمعاني تتشارك اتساعا والفنون تستدعى الفنون والحديث ذو شجون .

وقال بزر جمهر : من العلم أن لا تحقر شيئا من العلم ومن العلم تفضيل أهل العلم على أن العلم يقتضي ما يقتضي منه ويستدعي ما تأخر عنه وليس للراغب فيه قناعة ببعضه ومعنى الحديث ذو شجون أي يتشعب من الحديث أحاديث كالوادي الذي تتشعب منه المجاري وتتفرق عنه الأنهار في الجهات وقيل لإياس بن معاوية الحديث ذو شجون فقال شجونه خير أي فرعه خير منه .

قال الفرزدق :

فلاتأمنن الحرب إن استعارها كضبة إذ قال الحديث شجون

وضبة بن ادهر القائل ذلك وله حديث تركته فلا غرو ان كبر الكتاب وكثرت فيه الأبواب ولعمري ان الاكثار والإطالة موجبان للترك والملالة لكن لافي كل مكان يحسن الاختصار كما لا في كل مكان يحسن الإكثار وقيل لأبي عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل . قال نعم ليسمع منها . قيل فهل كانت توجز . قال نعم ليحفظ عنها . وقد فسرت جميع ما ذكر في هذا الكتاب من لفظ غريب ومعنى عجيب ليكون مستغنيا بتفسيره عن الرجوع فيه إلى غيره على أن الغرض المقصود به والغرض الموضوع له هو الفقه الذي هو أصل العلوم وأولها وأفضلها وأجلها وإمامها وأكملها ومنه تستنبط كل معرفة وعنه تضبط كل صفة .

قال ﷺ إذا التبست عليكم الأمور فعليكم بالقرآن في خبر فيه طول تجد تمامه بتفسيره في باب القرآن من هذا الكتاب إن شاء الله وما أردت بتأليفه اعتسافا في الدين ولا قصدت فيه خلافا على المسلمين ولا بدلت مقالاتهم مائنا ولا عدلت عن تأويلاتهم مباينا بل قفوت آثارهم واطيا ونحوت اختيارهم مواطيا وقلت ما ذكروه إخبارا ونقلت ما سطروه اختصارا وقبلت ما أثروه اختبارا فأنا وإن اختلف مني الكلام لهم ولأقاويلهم على الوئام وبالله أعوذ من مفارقة مذاهبهم ومجانبة الاقتداء بهم فهم العلماء المؤمنون والفقهاء المؤتمنون والأوائل المتقدمون والأفاضل المقدمون والأخيار المتبعون والأبرار الورعون والأتقياء الصادقون والأولياء الموافقون والأجلاء ديانة والأخلاء أمانة لم يركنوا إلى الدنيا طلبا ولم يغفلوا عن الآخرة لعبا ولم يعرفوا بجهل مضل ولم يعرفوا بفعل مزل ولا تورطوا إلى الأهواء هالكين ولا تخبطوا العشواء سالكين هيهات هيهات بل جدوا للآخرة مشمرين واجتهدوا عليها غير مقصرين ودعوا إلى الحق مبصرين وقتلوا في سبيل الله صابرين فنحن بهم مهتدون وبهداهم مقتدون ولأمرهم طائعون ولقولهم سامعون ولفعلهم تابعون جزاهم الله تعالى بما علمونا جنة وسلاما ، وبما حملونا رحمة وإكراما ، وأياه تعالى أستغفر من الجهل علاما ومن الإفك قائلا وما التوفيق إلا بالله وبه وعليه توكلت وإليه أنيب .

وقد ذكرت شيئا من أقاويل قومنا الموافقة لنا والمخالفة لأقاويلنا في مواضعها من الكتاب إذ العلم بذلك خير من الجهل به فمن وقف على هذا الكتاب فلا يعجلن بالجهالة عليَّ ولا يرسلن هجر المقالة إليّ ليتصحح ما قلته ، وليتصفح ما قدمته عساه يجد لي سعة وعذرا وليتبين

صحة أمر ثم لا يستثقله رائيا ولا يمله قارئا ، فإن الكتاب كلما كبر حجمه كثرت فوائده وعلمه .

حكى الجاحظ أن القتبي ذكر يوما كتابا لبعض القدماء : فقال لولا طوله وكثرة ورقه لنسخته .

فقال ابن الجهم : ولكنني ما رغبني فيه إلا الذي زهدك فيه وما قرأت كتابا كبيرا قط فأخلاني من فائدة وما أحصى وكم قرأت من صغار الكتب فخرجت منه كما دخلت وحكي عن بعض أهل العلم أنه كان يعظم الكتاب لكبره ويزري عليه لصغره في حال نظره إليه قبل وقوفه عليه .

وقيل : إن كتاب المجوس الذي ألفوه مستعجما لما فسر بالعربية كان وقر اثني عشر جملا من كبره وكثرته كله باطل موضوع وضلال غير مسموع .

وقيل : إن إسمه بستا وقيل إنه كتب في عشرين ألف جلد من جلود الإبل نقلا بالحديد لا بالمداد والله أعلم .

وقيل : إن الكتاب الذي ألفه أبقراط سمي أفورسمو أي كتاب الفصول وحكى عن بعضهم أنه ألف في التوحيد فقط كتابا كان عدد أجزائه مائة وأربعين جزءا .

وذكر محمد بن إسحاق أنه ألف كتابا في الشروط يزيد على أربعة الاف ورقة وهو فن واحد وكم مثل هذا أو اكثر أو أقل وأكثر من العلوم المصنفة والكتب المؤلفة ، فلو استطعت أن أجمع كل العلوم في هذا الكتاب لفعلت ، لكن ذلك ما لم يكن لمتقدم ولا يكون لمتأخر فهو وإن كان كبيرا فبالقياس لغيره يكون صغيرا ، وقد جمع ما تفرق في سواه وهو

مع ذلك بحمد الله مهذب التصنيف مصوب التأليف إلا أن يعترضه طعن حاسد أو تمرضه عين معاند وما الباطل بمقبول من ذهله ولا الحق بمنقول عن أصله والسكوت خير من الخلاف العاري من البرهان والخرس أفضل من قول بغير بيان ويجب لمن رام لغيره المعارضة ولأقاويله المناقضة ألا ينطق إلا بالبراهين لا سيما فيما يتعلق بالدين وللناس مذاهب فيما يألفونه ومطالب فيما يصنفونه فمنهم من يريد بذلك تدليسا ويقصد فيه تلبيسا ومنهم من يعتمد للمناقضات ويجتهد للمعارضات ومنهم من يطلب بذلك الدنيا والمفاخرة لا للدين يريد ولا للآخرة ومنهم من يعتمد به التقوية للمسلمين ويعتقد فيه النية لرب العالمين فيجب لمن ألف كتابا أن يقصد به تأييدا للدين وإرشادا للمسلمين وأن يصح كلامه ويوضح نظامه ويحذر غلطات الكلم وسقطات القلم فإنه يعرض علمه وعمله وعقله وحقه وجهله .

روي عن إياس بن معاوية أنه قال : من ألف كتابا فقد استهدف فإن أحسن فقد استشرف وإن أساء فقد استقذف ثم لا يخرج كتابه من يده حتى يقرأه ويصححه ويحرره ويوضحه ليخرج سالما صحيحا واضحا فصيحا قال هشام بن عروة قال لي ابي كتبت قلت نعم .

قال : عرضت .

قلت: لا .

قال: فلم تكتب وليحسن الإختبار ويقصد الإختصار .

قال النبي ﷺ : بعثت بجوامع الكلم واختصر لي الحديث .

وقال الخليل : يختصر الكتاب ليحفظ ويبسط ليفهم ؛ ويقال اختيار العلم أشد من جمعه ويقال مجتني كنوز العلم في اختياره وحسن اختصاره .

وقال الخليل : لكل شيء صناعة وحسن الإختصار صناعة العقل .

وقيل دل على عقل اختياره تفسير ما في الخطبة من الغريب قوله عود بعد بدء العود تثنية الأمر بدأ ثم عود! والعودة عودة مرة واحدة كما يقول ملك الموت لأهل البيت إن ليّ إذا قبض أحدهم إن لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منكم أحد وعاد علينا فلان بمعروفه أي أحسن ثم زاد . قال شعرا :

قد أحسن سعد في الذي كان بيننا فإن عاد بالمعروف فالعود أحمد

والبدء مصدر بدا يبدو وهو أن تفعل شيئا قبل غيره ، والله بدأ الخلق وأبدأ الخلق ، والمعنى واحد والآلاء النعم واحدها آلاء والبلاء يكون في الخير والشر والله يبتلي العباد بلاء حسنا وبلاء سيئا والنقم جمع نقمة وهي العقوبة كقوله عز وجل ﴿**ومن عاد فينتقم الله منه**﴾ (١) ونقول نقمت عليه ما صنع نقما ونقمته أي أنكرت عليه وتقول نقم ينقم لغتان . قال الشاعر :

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إذا غضبوا

والبلاء الإمتحان يقال بلى الانسان وابتلي قال الله عز وجل ﴿**وأما إذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه**﴾ (٢) .

قال الشاعر :

بليت وفقدان الحبيب بلية وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

والبلوى هي البلية والبلوى التجربة بلوته بلوى والقتمي الجامع الكامل بهر الشيء إذا غلب ضوءه ضوء غيره قال :

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٥ .
(٢) سورة الفجر الآية ١٦ .

كـمـا يـبـهـر الـبـدر الـنـجـوم الـسـواريـا

وقال آخر :

وقد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا

منقمع أي ذليل وقمعت فلانا فانقمع أي ذللته فذل وكان قمعة بن الياس بن مضر إسمه عمير فأغير على غنم لعمة أبيه فانقمع في البيت فرقا فسماه أبوه قمعة منقدع كاف قدعته عن هذا الأمر فانقدع ذو عنون العنون مصدر عَنَّ لنا كذا أي اعترض يعن عنونا .

قال امرؤ القيس :

فعنّ لنا سرب كانّ نعاجه عذارى دوار في ملأ مذيل

دوار صنم كانوا يطوفون به في الجاهلية ويقال هو حجر وحجارة كانوا يطوفون بها ودوار بالفتح والتشديد موضع بالرمل .

قال الشاعر :

كانت منازلنا التي كُنَّا بها شتى فألف بيننا دوار

يند أي ينفر يقال أنددت البعير فندَّأي نفرته فنفر والحديث ذو شجون وقد فسرته في موضعه ولا غرو أي فلا عجب الوئام .

ويقال الموام أيضا الموافقة ويقال المباهاة في الأشياء .

وقيل يقال لولا الوئام هلك الأنام .

وقيل هلك اللئام .

يقول : إن اللئام إنما يفعلون الجميل مباهاة وتشبيها بأهل الكرم ولو لا ذلك هلكوا ومجانبة الإقتداء ترك الإتباع وقطعه تقول جانبت فلانا قاطعته وقطعته واجتنبت قربه تورطوا وقعوا في بلية تخبطوا أي سلكوا غير قصد والعشواء بمنزلة الظلماء وعشواء الليل ظلمته والعشوة والعشوة

والعَشوة لغات كلها في معنى أن تركب أمرا على غير هداية وبيان وناقة عشواء لا تبصر .

وقال زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء مَن تُصِب تمته ومن تخطأ يعمر فيهرم

وهذا مثل معناه أن المنايا تأتي بما لا يعرفه فمن أصابته أماتته فكأنها ناقة عشواء لا تبصر وقد ندت فهي تقتل من أصابته والمعنى كخبط عشواء هجر المقالة قبيح المقالة حجم الشيء نتوه مثل حجم الصبي في بطن أمه وحجم الثدي في الصدر .

وقال قيس :

تعلقت ليلى وهي ذات موصد ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

الموصد لبسة الأعراب بمنزلة الإزار وغيرهم يسميها النقبة .

الفرق بين إن وأن فإن لما يأتي وأن لما يمضي وكذلك إذ وإذا فإذا لما يأتي وهو ظرف وإذ ظرف لما يمضي الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ .

---

(١) سورة النصر الآية ١ .

تقريظ الضياء

وجدت مكتوبا في نسخة يقول إنه وجد مكتوبا في نسختين بخط أبي المنذر وقد نسختها أنا في هذا الجزء ويتلوه قطع كثيرة أيضا ووجدت أيضا أن هذا الشعر لصاحب الكتاب .

هذا كتاب ضياء في القلوب أخي ... أكرم بما فيه من علم ومن أدب
سميته بالضيا إذ كان فيه هدى ... من العمى وضيا من ظلمة العطب
خصصت نفسي به حبا ومعرفة ... له وصنفته من اصدق الكتب
أهواه حبا لما فيه وحق له ... مني الهوى فهو من همي ومن أربي
لا أعدلن هذه الدنيا بفائدة ... منه صدقت وكفر المرء في الكذب
وكل مسألة في العلم افضل من ... جواهر الأرض والياقوت والذهب
تبا لعقل رأى مالا كمعرفة ... ما يعدل المال علما قط في سبب
المال تفنى على الأيام كثرتـه ... والعلم يبقى على الأيام والحقب
والعلم يقضي على الأموال محتكما ... وما على العلم حكم قط للنشب
والعلم ينجيك في دنيا وآخرة ... والمال يرديك في إثم وفي تعب
والمال فيه حساب لو تصوره ... ذو المال وَدَّ افتقارا يوم منقلب
والعلم أنفع ذخرا في المعاد غدا ... نعم وأرفع ذكرا نال ذو حسب
والعلم تاج افتخار ما عملت به ... والحلم تاج وقار غير مغتصب
ذو المال طوع لأهل العلم متبع ... لهم ومفتقر في الجد واللعب
لا فخر الا لأهل العلم إنهمو ... هم الهداة اذا ما حار ذو مطلب
من لم يكن عالما لم يدر خالقه ... حقا ولا الفرق بين الحق والكذب
وطاعة الله للمخلوق حافظة ... ما لم يحل بارتكاب النهي والريب
الموت أيسر في الدنيا بلا كذب ... لجاهل فاجر ماش بلا أدب
اعاذني الله من زيغ ومن زلل ... عمري وعلمني علما وعلم بي

الباب الأول
في بسم الله الرحمن الرحيم

أول ما يفتتح به الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم وهي آية من القرآن بإجماعهم أنزلها الله عز وجل مبتدئا الكلام في كلامه وفصلا بين سورة وأثبتتها الصحابة في المصحف ويروى أن النبي ﷺ أنه عدها من أم الكتاب وقال إنها من السبع المثاني ونحب افتتاح كل عمل وقول بها والاقتداء في ذلك بالله جل جلاله ؛ ثم برسوله ﷺ ؛ وقد كره بعض أن يَكتُبَ معها في سطرها شيئا غيرها أو يبتدىء بها الشعراء ويدغم منها صورة الباء والسين على ما يفعله بعض الكتاب وكره بعض تصغير خط بسم الله الرحمن الرحيم عز وجل تعظيما لاسمه وكلامه ويكره تعوير الهاء من اسم الله جل ثناؤه ويستحب تبيين هذه الآية وتفسيح حروفها وتتميم ألفاتها وتقويم لاماتها .

وروي أن عاملا لعمر بن عبدالعزيز كتب بسم الله الرحمن الرحيم فحذف السين بين الباء والميم فعزله لذلك والله أعلم ، وكره جماعة من الصحابة والتابعين فيما وجدت أن يمد الباء إلى الميم حتى يكتب السين وكره مجاهد والشعبي وغيرهما أن يكتب الجنب بسم الله الرحمن الرحيم وكره أن يكتب على الأرض .

أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيما لله عز وجل وجلت عظيمته غفر الله له ومن رفع قرطاسا فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالا لله جل جلاله أن يداس كتب عند الله من الصديقين ويخفف عن والديه وإن كانا مشركين

أعني من العذاب وعنه من طريق علي أنه قال عليه السلام ما من كتاب فيه إسم الله نسخ فيه بسم الله الرحمن الرحيم ملقى ببقعة من الأرض إلا بعث الله إليه من يرفعه وإذا رفعه أدخله الله الجنة وخفف عن والديه العذاب وإن كانا مشركين .

وعنه ﷺ من يتوق بسم الله الرحمن الرحيم رزقه الله ولدا بلا عيب .

أبو جعفر محمد بن علي قال : مفتاح كل كتاب أنزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم .

وعنه ﷺ أنه قال : بسم الله الرحمن الرحيم تيجان الكتب وأنشد :

باسم الله يفتتح الكلام وبسم الله شافية السقام

قال علي : لما أنزلت بسم الله الرحمن الرحيم .

قال رسول الله ﷺ أول ما أنزلت هذه الآية على آدم .

قال عليه السلام أمِنَ ذريتي العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فأنزلت على إبراهيم عليه السلام فتلاها وقرأها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما نزلت إلا على سليمان عليه السلام وعندها قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فأنزلها الله تعالى عليَّ ثم تأتي أمتي يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فإذا وضعت في ميزان أعمالهم رجحت حسناتهم .

وقال رسول الله ﷺ : اكتبوها في كتبكم فإذا كتبتموها فتكلموا بها عائشة أنها قالت لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ضجت الجبال

حتى سمع أهل مكة دويها فقالوا سحر محمد الجبال فبعث الله عليهم دخانا حتى ظلل مكة .

وقال النبي ﷺ من قال بسم الله الرحمن الرحيم مؤمنا موقنا سبحت معه الملائكة والجبال إلا أنه لا يسمع ذلك .

قال ابن عباس : قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل مرت الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وصاحت النجوم وأصغت البهائم بآذانها وأقبلت ومنعت الشياطين من السماء وحلف رب العرش لا يسمىَّ إسمُه على شيء إلا شفاه ولا على شيء إلا بارك فيه ولم يرن إبليس لعنه الله مثل ثلاث رنات قط رنة حين لُعِن وأخرج من ملكوت السموات ورنة حين ولد النبي ﷺ ؛ ورنة حين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب .

ابن عباس قال : أول ما أنزل الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم على سليمان عليه السلام ليفتتح بها الدنيا ويذل بها الملوك وهي قراءة أهل السموات ثم رفعت فأنزلت على محمد ﷺ في سورة النمل وكانت فتحا عظيما فإذا قرأتموها فمدوها فإنها هي العزيزة وإذا كتبتموها فاقرؤوها فإنها هي الشافية من كل داء وما تقدمها شيء من الكلام فجعلت افتتاحا لكل مهم ودواء لكل سقيم ولم يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال علي بن ابي طالب : بسم الله شفاء من كل داء وعون على كل دواء .

وروي عن الشعبي : أن العرب كانت تكتب في أوائل كتبها قبل الإسلام بسمك اللهم وكان النبي ﷺ يكتبها كان كذلك مصدرا فلما

نزلت عليه بسم الله مجريها ومرساها كتب بسم الله ثم نزلت عليه قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن الآية فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت عليه إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها كذلك فاستقام الأمر واستمر على افتتاح الكتب بها إلى اليوم ويقال إن أول من كتبها سليمان عليه السلام ؛ وبسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا لقارئها بكل حرف عشر حسنات .

ويقال قد أكثر من البسملة إذا أكثر من قول بسم الله الرحمن الرحيم .

قال عمرو بن ابي ربيعة :

ألاَ بسملت ليلى غداة لقيتها فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

فصـــل

عمرو بن شرحبيل قال : أول ما جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي ﷺ قال له قل بسم الله الرحمن الرحيم وأعادها عليه ثلاثا ثم قال له قل الحمد لله رب العالمين فأعادها عليه ثلاثا .

الزهري في قوله عز وجل وألزمهم كلمة التقوى قال بسم الله الرحمن الرحيم .

قال عبدالله بن الحسن : ﴿**وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده وَلَّوا على أدبارهم نفورا**﴾[1] يقول بسم الله الرحمن الرحيم .

عن النبي ﷺ ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم

(١) سورة الاسراء الآية ٤٦ .

المستحم أن يقول بسم الله وقال رجل تعس الشيطان فقال النبي ﷺ لا تقل تعس الشيطان فإنه يتعاظم ويقول بعزتي صرعتك فإذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم تصاغر حتى يصير مثل الذباب .

أبو جعفر محمد بن علي قال : إذا قرأ الرجل بسم الله الرحمن الرحيم ستر ما بين يديه من السماء إلى الأرض قيل أمرت عائشة خادما لها أن يخيط لها خرقا في فراشها فلما خاطه قالت له أذكرت اسم الله عليه حين بدأت به .

قال : لا .

قالت : فانقضه ثم اذكر اسم الله عليه .

وقيل دعت عائشة خياطا فقالت له سميت حين ضربت بإبرتك .

قال : لا .

قالت ما يبقى فافتق ما خطت .

فصـــل

كعب الأحبار أول ما خلق الله عز وجل من الحروف الباء ويقال كانت السين والألف حرفين كاملين فترافعت السين فرفع الله عليها الألف ويروى عن النبي ﷺ انه قال إن أول ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ نقطة فنظرت إلى نفسها فتصاغرت فتواضعت لله تعالى عز وجل فصارت همزة ؛ فلما رأى تواضعها طولها فجعلها ألفا ثم تلفظ بها فقال ألف فصارت ثلاثة أحرف ألف ، ولام ، وفاء وصارت ثلاثة أحرف ثم جعل يلفظ حرفا بعد حرف على تسعة وعشرين حرفا حتى ثبتت الألسن كلها على ذلك فجعل الألف من أول اسماء الله عز وجل ؛ الله الرحمن الرحيم ألا ترى أنه تدور عليه أسماؤه كلها وجعل اللام آخر أسمائه لجبريل وميكائيل وجعل الميم في أول إسم محمد ﷺ من أوسطه ثم أقسم بنفسه وبملائكته وبمحمد ﷺ أن هذا الكتاب وبلغنا أن إسم الله الأعظم هو الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له وإسم الله عز وجل قدم على الرحمن الرحيم لأنه إسم لا ينبغي إلا لله تعالى .

وقيل ؛ في قوله تعالى هل تعلم له سميا أي هل تعلم له في السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب أحدا اسمه الله غير لا إله إلاَّ هو .

وقيل : إسم الله الأعظم يا ذا الجلال والإكرام .

وقيل : يا حي يا قيوم ابي بن كعب .

قال : جميع الأسماء بمعنى ربوبيته الرب عز وجل .

قال : واسمه الذي هو اسمه الله .

وقال جابر بن زيد : إسم الله الأعظم هو الله ألا ترى أنه به يبتدأ وتفسير بسم الله الرحمن الرحيم في الإعراب قد ذكرته في باب التوحيد إن شاء الله .

الباب الثاني
في العلم

العلم على وجوه فالأول هو القرآن وهو قوله عز وجل : ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك**﴾[1]، والعلم المعجز هو القرآن ولا يسمى بهذا الإسم غيره والثاني هو محمد ﷺ وهو قوله تعالى : ﴿**فما اختلفوا إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم**﴾[2] .

يقول لم يختلف أهل الكتاب فيه ﷺ أنه نبي مبعوث حتى جاءهم رسول الله ﷺ والثالث وهو الكيميا وهو قوله تعالى في قصة قارون قال : إنما أوتيته على علم عندي أي على علم كيميا والرابع هو الشرك والكفر وهو قوله عز وجل ﴿**فرحوا بما عندهم من العلم**﴾[3] .

قيل من الشرك والكفر والله أعلم والخامس العلم المعروف وهو ضد الجهل .

وعن النبي ﷺ أنه قال : العلم علمان ، علم الأديان وعلم الأبدان وفي خبر آخر أنه عليه السلام قدم علم الأبدان على علم الأديان وليس في تقديمه عليه السلام علم الأبدان دلالة على تفضيله إياه على علم الأديان إذ قد جاء في القرآن الكريم تقديم الأنقص على الأفضل في غير موضع فمنه تقديم الجن على الإنس والإنس أفضل وتقديم الليل على النهار والنهار أفضل وغير هذا كثير .

ويقال ؛ العلوم أربعة علم الأديان وعلم الأبدان وعلم اللسان وعلم الإنسان ، فعلم الأديان علم الحلال والحرام وعلم الأبدان علم

(١) سورة آل عمران الآية ٦١ .
(٢) سورة الجاثية الآية ١٧ .
(٣) سورة غافر الآية ٨٢ .

الطب وعلم اللسان علم الفصاحة وعلم الإنسان علم الأنساب .

ويقال العلم علمان ، فعلم باللسان ليس له تحقيق بالفعال فذلك العلم الضار وعلم باللسان تحقيقه بالفعل فذلك العلم النافع .

وعن جابر بن زيد : أن النبي ﷺ قال ؛ العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم والعلم أيضا علمان علم عقلي وعلم سمعي فالعقلي ما خطر بالقلب من التوحيد وغيره ومعرفة الوعد والوعيد وكذلك ما حسن في عقله وقبح مما لم يأته خبره ولم يسمع بذكره والعلم السمعي هوما جاء به محمد ﷺ من الشريعة والسنة وبينه من أحكام القرآن من ما طرق سمعه وجاءته صحته وقامت حجته بظواهر الآية لأن القرآن معجز في نظمه ومعانيه باين من كلام البشر فذلك يلزم المتعبد التصديق به .

ويقال أيضا العلم علمان علم اختيار وعلم اضطرار وكلاهما عرض وعن النبي ﷺ العلوم ثلاثة وما سواهن فضل آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة ثابتة .

ويقال العلم علمان القرآن والفقه والباقي

وقال محمد بن إسحاق : العلم إسم أصلي يجمع فروعا كثيرة وكل فرع من فروعه علم برأسه فمن ذلك علوم أخروية وعلوم دنياوية فمن علوم الأخروية الفقه وهو الشرف الباذخ الذي من علمه وعمل به ساد في الدنيا وآلاخرة وسبيل من أراد الفقه أن يبدأ بالقرآن واستنباط علمه ومعرفة خاصة وعامة وندبه وحضره وإباحته وناسخه ومنسوخه ومحكمة ومتشابهة وأحكامه وتفسيره وإعرابه فإن القرآن هو الأصل الذي من رزق علمه شرف وعلت حاله ورَأْسِ في الناس وساد به ومن فروع

العلم بعد طلب الآثار والفقه علم الفرائض وعلم الشروط وأمَّا العلوم الدنياوية فعلم اللغة والنحو ورواية الشعر وحفظ الأخبار والسير والمغازي وأيام الناس والطب والنجوم والسحاب وعلم الهيئة وأشباه ذلك ، قد عدها الناس في جملة العلوم وعلم الشروط علم جليل وبالناس إليه الحاجة الماسة ولا غنية لهم عنه وهو من علوم الدنيا والآخرة لأنه به تحفظ الأمانات والأموال وما يعلمه أحد الا احتاج إليه الناس .

وعن أبي حنيفة أنه قال : تعلموا الوثائق واكتبوها بين الناس فإن أردتم دنيا وجدتموها وإن أردتم آخرة وجدتموها .

قال خالد بن يوسف قال : قال تعلمت الفقه فما قامت سوقي وتعلمت الشروط فكانت سبب رئاستي .

وقال إبراهيم : العلوم ثلاثة علم دنياوي ، وعلم دياوي وأخروي ، وعلم لا دنيا ولا آخرة ، فأما العلم الدنياوي فالطب والنجوم وما أشبه ذلك ، وأما العلم الأخروي والدنياوي فهو القرآن والفقه ، وأما علم الذي لا للدنيا ولا للاخرة فهو الشعر .

وقال بعضهم الفقه علم جليل قلما يسلم حامله من العجب والرياء وعلم الحساب علم تيقن وليس من علم الدين وعلم الإعراب لا يستغنى عن قليله ولا يحتاج إلى كثيره والشعر نعم العون على الدنيا وأجل العلوم معرفة ، الله عز وجل وكل فن من العلوم فهو علم بنفسه وكل نوع من العلوم يقال له نمط والعلوم ما أصلح الإنسان وصحح اللسان وأوضح البيان ورفع أهله في الملأ ونفعهم في الخلاء وطلب مفقود أو رغب فيه موجودا وجاء عن المسلمين ونفع في الدنيا والدين وكان صفوا من الكذب ونفعا من الضرر لا ماكان حظلا ولغوا ولعبا ولهوا

وسفها وسهوا ذلك حظ الجهال وبضاعة أهل الضلال .

قال بعض الحكماء العلم علمان ؛ علم ديني وعلم دنياوي ، فالعلم الديني الذي هو قسط العلماء والحكماء الذين ارادوا به الآخرة والنجاة والعلم الدنياوي هو قسط من أراد اكتساب الأموال والمراتب في الدنيا والعلم الديني ينقسم على قسمين ؛ علم عام ظاهر وعلم خاص باطن خفي العلم الظاهر الجليل كالعلم في الحلال والحرام والفرائض والسنن والأحكام وحفظ الكتب والأخبار والحديث وغير ذلك قد اشترك فيه الخاص والعام والعلم الخاص الباطن الخفي فهو علم الأنبياء والصديقين والأولياء المخصوصين وقد خص به قوم دون قوم فهو في كل امة مثل تأويل الكتب واسرار الأنبياء والرسل وما كان بينهم وبين اوليائهم فهذا هو العلم الخاص الذي كان من الأنبياء واوليائهم المخصوصين دون عوام الناس . ثم ينقسم العلم الخاص قسمين فقسم بين الأنبياء وخواصهم وقسم خص الله تعالى به الأنبياء وهو بينهم وبين الله عز وجل أطلعهم عليه دون سائر الناس علم الغيب .

قال الله عز وجل ﴿**فلا يظهر على غيبه أحدا إلاَّ من ارتضى من رسول**﴾[1] فأعلمنا جل وعلا أنه إذا ارتضى رسولا من خلقه أطلعه على ما شاء ثم ينقسم أيضا ذلك العلم قسمين ؛ علم بين الله تعالى وبين أنبيائه ورسله وعلم تفرد به عز وجل فلم يطلع عليه أحدا من خلقه .

فقال عز وعلا ﴿**يسألونك عن الساعة أيَّان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها**﴾[2] إلا هو ومثله ﴿**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار**﴾[3] ومثله

---

(١) سورة الجن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة الاعراف الآية ١٨٧ .
(٣) سورة الرعد الآية ٨ .

﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [1] ؛ ومثله كثير في القرآن مما تفرد به هو جل جلاله بعلمه دون كل أحد من خلقه وقسم العلم أقساما ورتب العلماء فيه مراتب ودرجات .

قال الله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [3] والعلم الدنياوي ينقسم إلى قسمين علم روحاني وعلم جسداني فالعلم الروحاني فهو علم لطيف مثل علم النجوم والحساب والطب والهندسة وما أشبه ذلك والعلم الجسداني هو علم الصناعات مثل البنياني والدوالي والأرحام وعمل البحر والحديد وغير ذلك من الصناعات .

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٤ .
(٢) سورة المجادلة الآية ١١ .
(٣) سورة يوسف الآية ٧٦ .

فصـــل

روي عن النبي ﷺ أنه قال : أنا مدينة العلم وعلى بابها وعنه ﷺ وآله وسلم أنه قال : باض العلم بمكة وفرخ بالمدينة ونهض إلى عُمان .

أبو موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ يخرج الناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة أو عالم أهل المدينة ومن طريق أبي هريرة انه قال ﷺ يأتي على الناس زمان لا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة ونقلة العلم من البصرة إلى عُمان أربعة وهم موسى بن أبي جابر وهو رجل من بني ضبة وبشير بن المنذر وهو من بني سامة بن لوي ومحمد بن المعلى وهو رجل من بني كنده ومنير بن النّير وهو رجل من بني ريام وكلهم في الولاية إلا محمد بن المعلى فإنه قد وقف بعض عنه والله أعلم بأمره .

وقال ابو إبراهيم أنه أول من قام بالتحكيم ودعا إلى القيام بدولة المسلمين وعن النبي ﷺ أنه قال نعم وزير الإيمان العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الحلم الدين ونعم وزير الدين البر .

وقال بعض الحكماء : العلم داعية الحكم ويقال علمك من روحك ومالك من بدنك .

وقال بعض الحكماء : من أحب العلم أحاطت به فضائله الزهري العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكور الرجال .

عبدالله بن الزبير إنه قال : العلم ذكر تحبه ذكور الرجال وتبغضه إناثهم .

وقال في مجلسه رجل من أهل الكتاب فقال أصلحك الله عندي أكثر من هذا زيادة أقولها .

قال : قل ، قال : قرأت في الكتاب الأول لا يحب العلم إلاَّ من أحبه الله ولا يبغضه إلاّ من أبغضه الله .

فقال عبدالله بن الزبير هذا أكثر مما سمعنا وأحسن .

وقال بعض البلغاء من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلح بالكتب لم تفته سلوه ومن آنسته قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان .

وقال بعض الحكماء لا سمير كالعلم ولا ظهير كالحلم .

وقال سفيان أحوج الناس إلى العلماء لأن الجهل اقبح وهم أعلام ومنار يقتدى بهم .

فصـــل

وقال بعض العلماء إذا أراد الله عز وجل بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم .

وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لأنه يمنعهم عن الظلم ويردهم إلى الحلم ويصدهم عن الأذية ويعطفهم على الرعية .

وقال بعض الأدباء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة .

ويقال : العلم قائد والعقل سائق والنفس حرون فإذا كان قائد بلا سائق تلكأت وإذا كان سائق بلا قائد عدلت يمينا وشمالا وإذا كان سائق وقائد مرت واستوت وفي قول آخر فإذا اجتمعا أتت طوعا وكرها ولولا العلم لكانت الناس كالبهائم .

فصـــل

وعن النبي ﷺ أنه قال : لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا

وعن النبي ﷺ من طريق أنس بن مالك أنه قال : من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل وتشرب الخمور ويظهر الزنا .

وقال الشعبي : ذهب العلم إلاَّ غبرا في أوعية سوء بقايا يسيرة .

ويقال ؛ لم يبق من الشيء إلا غبرا أي بقايا يسيرة فالغبر جمع غابر والغابر الباقي وهو قول الله عز وجل : ﴿**إلا عجوزا في الغابرين**﴾[1].

قال حميد بن ثور :

فكلفت يوم البين من غبر الصبا نوى من جميع أملكتها الأباعر

وقيل إن العلم يفنى قبضة قبضة حتى يذهب كله .

فصـــل

والعلم أصناف كثيرة وضروب مختلفة وكلها شريفة ولكل علم منها فضيلة والإحاطة بجميعها محال .

وعن النبي ﷺ أنه قال : العلم كثير أكثر من أن يدرك فخذوا من كل شيء أحسنه .

وعنه ﷺ أنه قال : من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله بها حيث يقول ﴿**وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلا**﴾[2].

وقال بعض الفقهاء : لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالنقيصة ولكنا نطلبه لننقص في كل يوم من الجهل ونزداد كل يوم من العلم وحكي عن أسطاطاليس انه قال : ما طلبي للعلم طمعا في

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٧١ .
(٢) سورة الاسراء الآية ٨٥ .

بلوغ قاصيته ولا استيلاء على غايته ولكن لما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه .

وقال بعض الحكماء : ما معي من العلم شيء إلا أني ما علمت شيئا .

وقال بعض البلغاء : المتعمق في العلم كالسائح في البحر ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا وأنشد الرشيد المهدي :

يا نفس خوضي بحار العلم أو غوصي فالناس ما بين معموم ومخصوص
لا شيء في هذه الدنيا يحاط به إلا إحاطة منقوص بمنقوص

وقال بعض العلماء : إنا لم نطلب العلم لنحيط به كله ولكن لنستكثر من الصواب وننتقل من الخطأ .

وقال إياس بن معاوية : من تعلم طرفا من العلم لم يعرف به غور العلم دعاه الجهل الى أن يرى أنه قد علم العلم ومن تعلم طرفا من العلم فعرف به غور العلم لم يزل متعلما حتى يموت وغور العلم غايته وغور كل شيء قعره .

وقيل لبعض الحكماء من يعلم كل العلم .

فقال : كل الناس .

وقال العلم ثلاثة أشبار من نال منه شبرا شمخ بأنفه وظن أنه أنه ، ومن نال الشبر الثاني صغرت نفسه وظن أنه أنه ، وأما الشبر الثالث فهيهات لا يناله أحد أبدا .

وقيل العلم على ثلاثة منازل فمن بلغ المنزلة الأولى استكثر ما علمه ومن بلغ المنزلة الثانية استقل ما علمه ؛ وعلم أن ما علمه قليل من كثير والمنزلة الثالثة لن يبلغها أحد أبدا وسئل منقر بطيس الفيلسوف

ما فضل علمك على غيرك ؟ .

قال معرفتي بأن علمي قليل وفي الحكمة من لطيف علمك في عملك أن تعلم أنك لا تعلم .

وقال بعض الحكماء : علمنا أشياء وجهلنا أشياء فلا نبطل ما علمنا بما جهلنا وقال بعض العلماء من فضل علمك استقلالك لعلمك ومن كمال عقلك استظهارك على عقلك ولا ينبغي أن تجهل من نفسك علمها وأن لا تجاوز بها قدر حقها ولا تجهل أحوالك فإن من جهل نفسه كان بغيرها أجهل .

وقد قالت عائشة يا رسول الله متى يعرف الإنسان ربَّه ؟ .

قال: إذا عرف نفسه .

وقال قيس بن ساعدة : أفضل العلم وقوف المرء عند علمه .

وقال الشاعر :

ومن البلوى التي ليس لها في الناس كنه أن من يحسن شيئا يدعي أحسن منه

والبلوى هي البلية وهي مقصورة تكتب بالياء والبلية قد ذكرتها في كتاب الإبانة والبلوى أيضا التجربة بلوته بلوى وكنه كل شيء غايته وفي بعض المعاني بلغت كنه هذا الأمر أي غايته وفعلت هذا في غير كنهه .

قال الشاعر :

وإن كلام المرء في غير كنهه لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها

وقال آخر :

يتعاطى كل شيء وهو لا يحسن شيئا فهو لا يزداد رشدا إنما يزداد غيًّا

والغيُّ مصدر غوى الرجل غيا إذا ضل .

وقال الشاعر :

فمن يلق خيرا تحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

الغيّ الفساد غوى الرجل إذا فسد .

فصـــل

قيل إن موسى صلى الله عليه وسلم أعجبه علمه فقال في نفسه ما أحد في زماني أعلم مني فرفع عصفور في منقاره نقطة من ماء البحر فأوحى الله تعالى إليه ما علمك عند علم غيرك من عبيدي إلا كما حمل هذا العصفور من ماء البحر بمنقاره .

أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : إن الخضر وموسى صاحب بني إسرائيل ركبا في السفينة فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر بمنقاره فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك وعلم جميع المخلوقين من علم الله عز وجل إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر .

قال النقاش:كان موسى عليه السلام حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه وتكلم به فجاء عصفور ويقال خطاف حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر .

فقال له الخضر:ما نقص علمك وعلمي من علم الله عز وجل إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر فلما حان للخضر وموسى عليهما السلام أن يتفرقا قال له الخضر لو صبرت لأتيت على ألف عجيبة كل عجيبة أعجب مما رأيت ، قال فبكى موسى عليه السلام على فراقه .

فقال له: أوصني يا نبي الله .

فقال له الخضر: فيما يقال إياك والإعجاب بنفسك والتفريط فيما بقي من عمرك .

قال النبي ﷺ:يرحم الله موسى وددنا أنه كان صبر حتى يقص الله علينا من أخبارهما .

وقال النبي ﷺ:كانت الأولى من موسى نسيانا ، قال ذهب كثير من أهل العلم يقولون هو موسى بن مينيانبي كان من بعد موسى بن عمران عليهما السلام بدهر والله أعلم .

وفي خبر أن الخضر قال لموسى يا موسى إنك على علم من علم الله علمك لا أعلمه وإني على علم من علم الله علمته وما تعلمه تعالى الله عز وجل علوا كبيرا .

فصـــل

في المعرفة ، المعرفة ضد الإنكار كما أن العلم ضد الجهل ، يقال عرف الشيء وأنكره قال الكميت :

منكـرات يـا نفس عـارفـات بعيـون هـو أمـل التسجـال

فجعل المعرفة ضد الإنكار قال جرير :

عـرفنـا جعفـرا وبني كـلاب وأنكـرنـا زعـانف آخـرينـا

فجعل المعرفة ضد الإنكار والعلم والمعرفة شكلان ومن الناس من يجعل الإنكار ضد الإقرار وهو خطأ لإن الاقرار ضد الجحد .

يقال أقر فلان بحقي وجحد في حقي كما يقال أعترف به وأنكره والفرق بين الإنكار والجحد ، إن الإنكار يكون بالشيء الذي يشتبه عليه فلا يعرف حقه من باطله .

ويقال أنكره إذا جحده لاشتباهه وقلة توجهه إليه ومعرفته به والجحود يكون دفع الشيء على بصيرة وعلم عيانا .

قال الله عز وجل : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[1] فجعل الجاحد على معرفة ويقين .

ويقال رجل عارف بالشيء وله معرفة بالأمر إذا كان يميز الشيء من ضده وخلافه بالمشاهدة والمعاينة .

ويقال المعرفة جبلة من الخلق والعلم بالاكتساب والتعليم ومن أجل ذلك اشتركت البهائم وسائر الحيوان مع الناس في المعرفة وخصص الناس بالعلم من دون البهائم .

ويقال إن البهائم سميت بهائم لأنها أبهمت عن كل شيء إلا عن معرفة الله عز وجل فالإنسان يعرف ويعلم والبهيمة تعرف ولا تعلم لأن الإنسان يكتسب العلم والبهائم لا اكتساب لها وإنما صار الإنسان معاقبا ومثابا لاكتسابه واختياره الخير والشر وعلمه بذلك والبهيمة لا ثواب لها ولا عقاب عليها لأن المعرفة جبلة فيها وليست باكتساب .

قال: وسأل العالم رجلا فقال أتعرف أم تعلم .

قال: بل أعرف .

فقال : إن البهيمة لتعرف ولو علمت ما كنت بهيمة والبهيمة بمعرفتها تميز بين الضار والنافع لها في أمر معاشها وتتقي المهالك وتألف من ينفعها وتنفر ممن يؤذيها ويضرها كالشاة تألف الكلب وتفر من الذئب وتميز بينهما وكالطير يألف اللواقط والبغاث ويفر من الجوارح وهذا من جهة المعرفة .

قال: وانما صار الإنسان يعرف ويعلم لاجتماع النفس المنطقية البهيمية وهما جوهران قابلان للعلم والمعرفة البهيمية والنفس البهيمية

تقبل المعرفة وتأبى العلم والبهيمية تعرف الشاهد وتعجز عن الغائب ويقال عرفت الشيء معرفة وعرفانا .

قال عمران بن حطان :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى عرفت لهذا الدين عرفانا

والعارف أيضاالصابر ورجل عروف صبور وفي المثل النفس عروف ما حملتها احتملت .

قال النابغة :

على عارفات للطعان عوابس بهن كلوم بين دام وخالب

والعرف بفتح العين الريح الطيبة ، قال الله عز وجل ﴿عرفها لهم﴾[1].

قال عدي بن زيد :

أبصرت عيني عشاء ضوء نار من سناها عرف هندي وعار

وكأن المعرفة أخذت من الطيب والصبر لأن الذي يميز الشيء ويعرفه يطيب له التمييز فيختار الخير ويستطيبه ويقبله ويصبر عليه والمعرفة بالشيء هي المشاهدة تزيل الشك والمرية وهي التمييز بين الشيئين ومن أجل ذلك .

قال أهل العربية:المعرفة إسم إذا كان مخلصا لا يحتاج إلى علامة تفرق بينه وبين نظيره كقولك زيد وعمرو والنكرة التي تحتاج إلى معرفة وعلامة تعرف بها حتى تصير معرفة كقولك رجل ولا يدري أي الرجال هو وكقولك غلام ولا يدري أي الغلمان هو حتى تعرفه بالألف واللام فإذا قلت الرجل فقد دللت على رجل بعينه وإذا قلت غلام زيد فقد

عرفته بالإضافة ولخصته ثم اشتقوا من المعرفة المعروف ومن النكرة المنكر فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأخذ بالأمر فيه ولا شك فيه من أمر الدين فهو المعرفة لا يحتاج إلى علامة يعرف بها والنهي عن المنكر هو النهي عن التقحم في المجهولات والشبهات التي لا يعرف حقها من باطلها والمعروف والعرف لغتان .

قال النابغة :

أبى الله إلاَّ عدله ووفاؤه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

ويقال نكر نكرا قال الله عز وجل : ﴿**يوم يدع الداع إلى شيء نكر**﴾[1] ومعناه منكر .

ويقال أنكرت الشيء ونكرته .

قال الله عز وجل ﴿**فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم**﴾[2] .

قال الأعشى باللغتين جمعيا :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويقال أنكرت الشيء فهو منكر ونكير ومنه الملكان منكر ونكير والله أعلم .

فصل آخر في العلم

قيل حد العلم ادراك المعلوم على ما هو به .

وقيل اعتقاد الشيء على ما هو به عن ثقة وقيل العلم إدراك الحق والعلم ضربان ضروري وحده ما لا سلطان للشك فيه ومجتلب وحده ما يجوز أن يخامر المعتقد في اعتقاده بشك غير أنه تزيله البراهين الباصرة

(١) سورة القمر الآية ٦ .
(٢) سورة هود الآية ٧٠ .

والأدلة القاهرة وسمي العلم علما لأنه علامة يهتدي بها العالم إلى ما جهله الناس . وهو بمنزلة العلم المنصوب على الطريق والعلم والمنار المضروب على الحدود ؛ فالعلم والعلَم والعلامة اشتقاقة من لفظ واحد فصار العلم للإنسان بمنزلة العلامة يفرق بينه وبين الجاهل والعلامة والعلم والمعلم ما جعلته علما للشيء والمعلم موضع العلامة ويقرى وأنه لعلم للساعة تعلم به الساعة والعلم الراية التي إليها يجتمع الناس والجبل والعلم الجبل الطويل وهن الأعلام .

قال الله تعالى : ﴿**وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام**﴾[1] ؛ والجواري السفن ومنشآت شرعها والأعلام الجبال .

قال الفرزدق : قال ابن صانعة الزروب لقومه : لا أستطيع رواسي الأعلام وواحد الأعلام من الجبال علم .

قالت الخنساء :

وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإنّ صخراً إذا نشتوا لنحار
وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

ويقال علم الرجل يعلم علما ورجل علامة وعليم وعالم .

قال الله تعالى عز وجل : ﴿**إني حفيظ عليم**﴾[2].

وعن قسامة بن زهير قال : اوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام أني عليم أحب كل عليم والعالم العليم والعلاَّم ورجل علاَّمة أدخلوا الهاء للتأكيد وقولهم أنا قتلته علما يريد بذلك المبالغة .

ومنه وقولهم قتل ارضا عالمها وقتلت أرض جاهلها أي بالغ في علمها .

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٤ .
(٢) سورة يوسف الآية ٥٥ .

ويقال قتل أرضا عالمها وخابرها فالخابر المختبر المجرب والخبير العالم بالأمر والخبرة الإختبار ، قال الله تعالى : ﴿**فاسأل به خبيرا**﴾[1].

قال موسى بن ربعي الأسدي :

وقومي إن لقيتِ فسائليهم كفى قوما بصاحبهم خبيرا

نصب قوما بوقوع الفعل عليهم ونصب خبيرا بالتفسير معناه كفى قوما صاحبهم وقيل في قوله عز وجل ﴿**وما قتلوه يقينا**﴾[2] يقول ما قتلوه ظنهم يقينا .

ويقول أعلمته إعلاما إذا أشعرته شيئا جهله .

ومنهم من يقول شعرته أي عقلته وقولهم ليت شعري أي ليت علمي والشاعر سمي شاعرا لفطنته من قولهم ما شعرت بهذا أي ما فطنت ومنهم من يقول شعرته أي عقلته ومنه قولهم ليت شعري أي ليت عملي وما يشعرك أي ما يدريك .

قال الله تعالى : ﴿**وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾[3].

قال أبو طالب : ليت شعري مسافر بن أبي عمرو وليت شعري يقولها المحزون وجمع مسافر نصب بشعري أي ليتني مسافر علمت ابن أبي عمرو اين ذهب شاعر شعرا .

قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

معناه هل ترك الشعراء شيئا إلا وقد قالوا فيه وكفوه مؤونته .

قال آخر :

ليت شعري إذا القيامة قامت ودعي للحساب أين المصيرا

(١) سورة الفرقان الآية ٥٩ .
(٢) سورة النساء الآية ١٥٧ .
(٣) سورة الانعام الآية ١٠٩

أراد ليت شعري المصير أي ليتني أشعر المصير أين هو ، ويقول فقه الرجل يفقه فقها فهو فقيه وقد فقه الرجل يفقه فقها إذا فهم وأفقهت له أي بينت له والتفقه تعلم الفقه والفقه العلم في الدين والفقه في كلام العرب الفطنة سأل أعرابي يونس بن حبيب النحوي عن مسألة فأجابه بجواب أعجب به الأعرابي .

فقال:شهدت لك بالفقه أي بالفطنة وسمي الفقيه فقيها لإحاطة فطنته بأسباب الحلال والحرام .

ويقال فقهت الشيء أي علمته وفقهت إذا صرت فقيها ولا يقال فقهت الشيء لأنه فعل لا يتعدى ومثله قريب منك وقريبك والفقه إسم مدح ولا يستحقه من لم يكن فقيها ويجوز أن يسمي من علم شيئا من الفقه فقيها بمعنى أن كل من علم شيئا فقد فقه وهو فقيه به أي قد علمه وهو عليم به .

وعن ليث بن مجاهد قال : الفقيه من يخاف الله تعالى .

مجاهد في قوله عز وجل ﴿**إن إبراهيم لأوّاه حليم**﴾[1]:

قال الأواه الفقيه .

فصـــل

أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والدين أخوه والرفق والده والعمل قيّمه والصبر أمير جنوده .

وعن بعض العلماء أنه قال : العلم ذو مفاصل كثيرة فرأسه

(١) سورة التوبة الآية ١١٤ .

التواضع وعينه البراءة من الحسد وأذنه الفهم ولسانه الصدق وفهمه الفحص وقلبه حسن النية وعقله سعة المعرفة ويده الرحمة ورجله زيارة العلماء وهمته السلامة وحكمته الورع ومستقره سعة الرأي ومحله الإناءة وسلطانه العدل ومملكته القناعة ورئيسه النجاة وقائده العافية ومركبه الوفاء وسلاحه لين الكلام وسيفه الرجاء وقوسه القناعة وسهمه المحبة ورمحه التقوى وفرسه المداراة وجيشه المشورة وماله الأدب وحربه المكابدة وذخيرته التوبة وزاده المعرفة ومأواه الموادعة ودليله الهدى ورفيقه مودة الأخيار .

قال غيره : العلم أنثى وما يستفاد من العلم ذكر وفي لقاحهما المعرفة وأبوهما المدرسة وأمهما التواضع .

الباب الثالث
في الحكمة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**﴾[1] .

قال ابن الأنباري : الحكمة إسم العقل وجمعها حكم واختلف في تفسيرها .

فقال ابن عباس: الحكمة القرآن والفقه والعلم .

وقال أيضا: المعرفة بالقرآن ناسخة ومنسوخة ومتشابهة ومحكمة ومقدمة ومؤخرة وحلاله وحرامه وأمثاله .

وعنه في قصة داود عليه السلام وآتيناه الحكمة .

وفصل الخطاب قال النبوة .

وفصل الخطاب يقول القضاء بين الناس لا يتلبث في قضائه ولا يتتعتع وعنه في قصة النبي ﷺ ويعلمهم الكتاب والحكمة .

قال: الكتاب القرآن والحكمة العلم والسنن ، وفي قصة عيسى عليه السلام ولما جاء عيسى بالبينات يقول بالآيات قال قد جئتكم بالحكمة يقول بالنبوة ويقال الحكمة النبوة وقيل السنة وقيل الحكمة الصواب والكتاب يؤتي اصابته من يشاء وقال النقاش يقال انها حفظ القرآن ومعانيه ويقال الفقه ومعرفة الأمور التي أمر الله عز وجل بها ونهى عنها وجماع الحكمة الرد إلى الصواب وحكمة الدابة ومن ذلك لأنها ترد الدابة إلى القصد .

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٤ .

وعن النبي ﷺ أنه قال : ما أنفق منفق ولا تصدق متصدق بأفضل من كلام الحكمة إذا تكلم به الحكيم والعالم ينال كل مستمع عنه منفعة وعنه ﷺ من طريق ابن مسعود أنه قال : لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وفي خبر آخر آتاه الله علما فهو يقضي به ويعلمه .

وقيل معنى ذلك الحسد لا يجب أن يكون في شيء من الأشياء ولو كان واجبا لكان في هذين والله أعلم ؛ وظاهر يقتضي غير هذا التفسير والله اعلم .

وعن الحسن في قوله عز وجل ﴿**ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**﴾[1] قال الحسد .

وعن النبي ﷺ من طريق انس بن مالك أنه قال : الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك .

وقيل في قوله عز وجل : ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾[2] .

قال الفقه والعلم والإصابة وذلك في غير النبوة .

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم .

ويقال : من أعطى الحكمة غير أهلها حاكمته الحكمة إلى ربها .

وقال بعض الحكماء : لا تحدث بالحكمة السفهاء ولا تحدث فيكذبوك بالباطل عند الحكماء فيمقتوك .

وعن النبي ﷺ أنه قال : «الكلمة من الحكمة يسمعها الرجل فيعمل بها أو يعلمها خير له من عبادة ألف سنة» .

---

(١) سورة الحشر الآية ٩ .
(٢) سورة لقمان الآية ١٢ .

أبو هريرة قال : قالت الحكمة من طلبني فلم يجدني فليعمل بأحسن ما يعلم ويدع عنه أقبح ما يعلم فإذا كان كذلك أتيته وإن لم يعرفني .

وقيل الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها فإن الضالة لا تترك لذلة واجدها كالدرة لا يضعها نقص مخرجها .

وقال معاوية الفرصة خلسة والحياء يمنع الرزق والهيبة خيبة والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها ولو من عند مشرك .

أبو شروان يقول : القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة ، كما تحتاج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء .

وقال لأصحابه: أجمعوا لي العلم فجمعوه في أربعة أوقار .

فقال: هذا كثير فاختصروه في أربعة كتب .

فقال :اختصروه فاختصروه في خمس كلمات الكلمات الملك لا تصلحه إلا الطاعة والرعية لايصلحها إلا العدل فيها والمال لا يصلحه إلا حسن التدبير والطعام لا يؤكل إلا على الشهوة والمرأة لا يصلحها أن تنظر إلى غير زوجها .

وعن عيسى عليه السلام : اعلموا أن كلمة الحكمة ضالة المؤمن فعليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه ذهاب رواته .

وعنه عليه السلام : «إذا رأيت قلبك ينكر شيئا فاعلم أن الحكمة فيه» .

وعن علي : خذ الحكمة أين أتت أي كيف أتت فإن الكلمة من الحكمة تكون في صدر المنافق تتلجلج حتى تسكن إلى صاحبها .

ويقال:إن الحكمة قد يعلمها المنافق فلا تزال تتحرك في صدره ولا تسكن حتى يسمعها المؤمن أو العالم فتسكن في صدره إلى أخواتها من كلام الحكمة .

وقال غيره:نور الحكمة يتوقد في قلوب الحكماء فهم يستضيؤون بها في أعمالهم كما يستضيء الناس في دجى الليل بنور المصابيح .

وقال الخليل :الحكمة مرجعها إلى العقل والعلم والحلم ويقال للرجل إذا كان حكيما حليما قد أحكمته التجارب .

قال أفلاطون : قوة العقل الحكمة كما أن قوة الجسد الطعام فتموت الحكمة بموت العقل كما يموت الطعام بموت الجسد وسمي الحكيم حكيما لان علمه وسداد رأيه وفصل صوابه يمنعه من الخطأ .

ويقال : أحكمت الشيء إذا منعته ورددته .

قال جرير بن حنيفة : أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضب .

وقال الحكيم:كان يقال الناس في الحكمة أربعة فسامع غير واع فذلك كالرأس الحليق والماء وسامع واع لا مؤدٍ فذلك كالقارورة والكرسف أدخلته فيها فقتلته وكبيتها فلم يخرج وسامع واع مضيّع فذلك كالقابض على الماء وسامع واع مؤد فذلك كالشمس اكتست النور وأضاءت للعباد .

ويقال:من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار وسمى الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة نسخة بالحكمة قال :

وحكيمة تأتي الملوك غريبة قد قلتها ليقال من ذا قالها

الباب الرابع
في مدح العلم وتفضيله

الدليل على فضيلة العلم قوله عز وجل : ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾[1] فأظهر فضيلته بعلمه بالأشياء وقوله تعالى : ﴿**إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم**﴾[2] ؛ والبسطة الفضيلة من الرجل على غيره في العلم والجسم وقرأ بصطة بالصاد .

وقال جل ثناؤه : ﴿**وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم**﴾[3] ، إلى قوله تعالى : ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾[4] وقوله عَزَّ إسمه : ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**﴾[5] وقوله تعالى : ﴿**ولقد اتينا داود وسليمان منا علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**﴾[6] ومثله ﴿**ولقد اتينا داود منا فضلا**﴾[7] الآية ومثله ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله**﴾[8] ومثله في قصة عيسى عليه السلام ﴿**اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل**﴾[9] ؛ فهذه الآيات وغيرها في مواضع كثيرة دالة على فضيلة العلم .

قال عبدالله بن المبارك : خير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال فاختار العلم فأعطاه الله تعالى الملك والعلم والمال باختياره العلم .

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٣ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .
(٣) سورة الجمعة الآية ٢ .
(٤) سورة النساء الآية ١١٣ .
(٥) سورة النمل الآية ١٥ .
(٦) سورة سبأ الآية ١٠ .
(٧) سورة لقمان الآية ١٢ .
(٨) سورة المائدة الآية ١١٠ .
(٩) سورة النحل الآية ٤٣ .

وعن النبي ﷺ أنه قال : كنوز العلم تبقى وكنوز المال تفنى فأخذه الشاعر فقال :

تفنى الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى باقيات الاعصر

وعنه ﷺ أنه قال : «اذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم ويقال من حجب الله عليه العلم عذبه على الجهل واشد منه عذابا من أقبل عليه العلم فأدبر عنه ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد استخف بهدية الله عز وجل» .

وعنه ﷺ انه قال : «من آتاه الله علما فلا يحقرنه فإن الله لم يحقره حين علمه» .

وعن الحسن:حسبك من العلم أن تخشى الله وحسبك من الجهل أن تعجب بعقلك .

قال ابو عبدالله رحمه الله:لم يؤت الله العباد مثل العلم بعد النبوة .

وعن النبي ﷺ :«ما عبد الله بشيء أفضل من العلم والفقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه» والدعامة إسم للشيء الذي يدعم به والمدعوم الذي يميل فيريد أن يقع فتدعمه ليستقيم أو يستمسك .

ويقال:ارض بالقليل من الدنيا مع الكثير من العلم ولا ترض بالكثير من الدنيا مع القليل من العلم .

وقد جاء أن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا من يحب .

وسأل رجل النبي ﷺ .

فقال : يا رسول الله أي الأعمال أفضل .

قال : العلم .

فقال الرجل : يا رسول الله أسألك عن العمل وتقول العلم .

فقال رسول الله ﷺ : إن قليل العمل عند العلم خير من كثير العمل بلا علم .

واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال : المتعبد بلا علم كالحمار في الطاحونة .

عن ابن عنبسة أنه قال : ما وصلت إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله والعمل بأمر الله أبو الأسود الديلي قال ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلم حاكم على الملوك .

وقال الزهري : كل رئاسة تكون بمعنى من المعاني تزول بزوال ذلك المعنى وإذا كانت بالعلم لم تزل إلا بزوال صاحبها .

عمرو بن دينار قال : العلم أشرف الأحساب .

قال علي : قيمة كل إنسان ما يحسن .

قال علي بن ابي طالب:وهو اللبيب الفطن المتقن كل امرىء قيمته عندنا وعند أهل العلم ما يحسن .

قال علي بن أبي طالب :

أيها الفاخر جهلا بالنسب إنما الناس لأم ولأب
أتراهم خلقوا من فضة أم رصاص أم نحاس أم ذهب
فترى فضلهم في خلقهم هل سوى مخ وعظم وعصب
أنما الفخر بعقل راجح وبعلم أو بدين وأدب

قل لمن فاخر في الناس به فاز من فاخر منهم فغلب

وقيل: قيمة كل امرىء ما يبديه من العلوم .

وقيل: الناس أعداء ما جهلوا وأبناء لما علموا ولابن طبطبا العلوي :

حسود مريض القلب يخفى أنينه ويضحي كئيب البال عندي حزينه
يلوم على أن رحت في العلم راغبا أجمع من عند الرواة فنونه
وأعرف أبكار الكلام وعونه واحفظ مما استفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وقال علي بن ابي طالب : كفى بالعلم شرفا إن كل احد يدعيه وان لم يكن من اهله وكفى بالجهل خزيا إن كل احد يتبرأ منه وإن كان به موسوما .

وقال أزدشير : حسبكم دلالة على فضيلة العلم أنه ممدوح بكل لسان يتزين به غير أهله ويدعونه ما خفي لهم ادعاؤه وحسبكم دلالة على الجهل أن كلا ينتفي منه ويغضب أن يسمى به .

وقال أبو المؤثر ـ رحمه الله ـ:بالعلم يطاع الله وبالجهل يعصى الله ومن فضل العلم على كل من أراده العباد وأن الله عز وجل إنما خلق الخلائق بعلمه ودبر الأشياء بحكمته وأنه ابتدأ الأشياء ومصيرها إلى علمه فتبارك الله أحسن الخالقين .

فصـــل

قيل: لبعض الحكماء لِـمَ لا يجتمع العلم والمال .

فقال: لعز الكمال .

وسئل بعض الحكماء أيما أفضل المال أو العلم .

فقال: الجواب عن هذا أيما أفضل المال أو العقل .

وقال صالح بن عبدالقدوس :

لا خير فيمن كان خير ثنائه في الناس قولهم غني واجد

وقال علي بن ابي طالب : العلم خير من المال ؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال ؛ والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، العلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة ، وصنيع المال يزول بزواله وصحبة العلم دين يدان به العلم يكسبك الطاعة في حياتك وحسن الأحدوثة بعد وفاتك مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقوده وآثارهم في الناس موجودة ها ان هاهنا علما جما واشار بيده إلى صدره لو أصبت له حملة بلى أصبت فتى غير مأمون يستعمل آلة الدين للدنيا ويستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمة الله على عباده او منقاد الأهل الحق لا بصيرة له عما قليل يتفرج الشك في قلبه لأول عارض من شبهه لا ذا ولا ذاك ضبهوم باللذات سلس القياد او مغرور بجمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبههما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم فيموت حامله ، الله لا تخلو الأرض من حجة اما ظاهرة بحق واما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله وبيناته على خلقه أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله خطرا بهم يظهر الله برهانه حتى يردوه إلى نظرائهم أو يوعونه في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا بما استوعر فيه المترفون وانسوا مما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى حتى

باشروا روح اليقين أولئك خلفاء الله في بلاده والدعاة إلى دينه آه آه شوقا لهم إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولك اذا شئت فقم .

وروي عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم عبدالرحمن العذري قال : قال رسول الله ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالبين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فحملة العلم يحملونه قدوة عن قدوة في طبق من الأمة بعد طبق» .

وسئل علي عن العلم أفضل أم المال ؟ .

فقال: العلم أفضل .

قيل:فما بالنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء ولا نرى الأغنياء على أبواب العلماء .

قال:ذلك لعلم العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بفضل العلم .

وقيل :سئل برزجمهر عن هذا .

فقال:ذلك لعلم العلماء بالحجة إلى المال وجهل أصحاب الأموال بفضيلة العلم .

وقيل:ما مات من أحيا علما وفي منثور الحكم كم من ذليل أعزه علمه ، ومن عزيز أذله جهله .

وقال بعض الحكماء:العلم شرف لا قديم له والأدب مال لا خوف عليه .

وقال بعض الأدباء :العلم أفضل خلف والعمل به اكمل شرف وليس يجهل فضل العلم الا أهل الجهل لأن فضل العلم يعرف بالعلم وهذا ابلغ في فضله لأن فضله لا يعلم إلا به ، فلما عدم الجهال العلم الذي به يتوصلون إلى فضل العلم جهلوا فضله واسترذلوا أهله .

وقال ابن المعتز : العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما وكذلك انصرفوا عن العلم وأهله انصراف الزاهدين وانحرفوا عنه انحراف المعاندين لأن من جهل شيئا عاداه .

وقال ابن دريد :

جهلت فعاديت العلوم وأهلها كذلك يعادي العلم من هو جاهله

فصـــل

المال ظل زائل وعارية مسترجعة وقيل سمي المال مالا لأنه ميال ويقال رجل مائل اذا كان ذا مال وليس في كثرة المال فضيلة ولو كانت فضيلة لخص الله تعالى بها من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته ، وقد كان اكثر انبياء الله تعالى عليهم السلام وأوليائه فقراء لا يجدون بلغة حتى صاروا مثلا في الفقر .

قال البحتري :

فقر كفقر الأنبياء وعزبة وصبابة ليس البلاء بواحد

ولعدم الفضيلة في المال منحه الله الكافر وحرمه المؤمن .

قال الشاعر :

كم كافر بالله أمواله تزداد أضعافا على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد إيمانا على فقره
يا لائم الدهر وافعاله مشتغلا يزرى على دهره
الدهر مأمور له آمر يصرف الدهر إلى أمره

والمال لا يفرح به عاقل ولا ينتفع به جاهل لأنه يبيد فيما يبيد ولا يفيده أيضا حمدا عاجلا ولا ذخرا آجلا .

وقال بعضهم:لو كان يفرح بالأموال جامعها ، لكان افرح خلق الله قارون .

وقيل لبزرجمهر: ما أعجب الأشياء ؟ .

قال:نجح الجاهل وإكداء العاقل لكن الرزق بالجد والحظ لا بالعلم وللعقل حكمة منه تدل على قدرته وإجراء الأمور على مشيئته والأكداء منع الإنسان ورده دون مطلبه .

وقيل أن موسى عليه السلام قال: يا رب لم رزقت الأحمق .

قال :ليعتبر العاقل أن الرزق ليس بالاحتيال .

وقد قالت الحكماء:لو جرت الأقسام على قدر العقول لم تعش البهائم فنظمه ابو تمام فقال :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذا من جهلهن البهائم
ولكنما الأرزاق تأتي على الورى بقدرة جبار وحكمة حاكم

والسبب المانع حظ العاقل هو الذي يسوق رزق الجاهل .

وقال علي بن أبي طالب :

كم من حريص عليها لا تساعده وعاجز نال دنياه بتقصير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت لكنهم رزقوها بالمقادير
لو كان عن حيلة أو عن مغالبة طار البزاة بأرزاق العصافير

وكم في هذا من الأشعار وصحيح الأخبار ما لا يحصى وليس للإكثار منه هاهنا وجه فتركته والعلم والعقل سعادة واقبال وان قل معهما المال والجهل والحمق حرمان وادبار وان كثر معهما المال وكيف يسعد الجاهل والجهل يضعه أم كيف يشقى العالم والعلم يرفعه .

قال الشاعر :

أخي إن كنت عالما زادك العلم عُـلَوًّا أو جـاهـلا رفعـك
إنما تفضل البهائم بالعلم فـإن كنت عـالمـا نفعـك
تنكّب الجهل ما استطعت فإن الجهل إن كنت جاهلا وضعك

وقال آخر :

العلم فيه مهابة وجلالة والعلم خير من كنوز الجوهر
والعلم من يعرف به في مجلس يكرم ويعظم قدره ويوقر

ويقال :

العلم أشرف الأحساب والمودة أشبك الأنساب

قال الشاعر :

العلم والحلم حلتا كرم للمرء زين إذا هما اجتمعا
صنوان لا يستتم حسنهما إلا بجمع لذا وذاك معا
كم وضيع سما به الحلم والعلم فنال العلا وارتفعا
ومن رفيع البنا اضاعهما أحمله ما أضاع فاتضعا

ولصالح بن عبدالقدوس ؛

العلم زين وتشريف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
لا خير فيمن له أصل بلا أدب حتى يكون على ما زانه حَدِبا
كم من حسيب أخي عي وطمطمة فدم لدى القوم معروف إذا انتسبا

الحدب على الشيء العاطف عليه والطمطمة العجمة وهي تكون فيمن لا يفصح والفدم العي عن الحجة والكلام .

قال الشاعر :

وأنكرت إنكار الكريم ولم أكن كفدم عبام سيل شيئا فحمحما

والعبام الرجل الغليظ الخلقة تقول عبم يعيم عبامة شيئا أي شيئا يعطيه رجع إلى شعر صالح :

في بيت مكرمة آباؤه نجب كانوا الرؤوس فأضحى بعدهم ذنبا
وحامل مقرف الآباء ذي ادب نال المعالي والأموال والنشبا

القرفة الهجنة في الأصل قال ذو الرمة :

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندبا

يقول هي كريمة الأصل لم يخالطها شيء من الهجنة رجع إلى شعر صالح :

العلم كنز وذخر لا نفاد له نعم القرين إذا ما عاقلا صحبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به درا ولا ذهبا

قال آخر :

العلم نور به تحيا القلوب كما تحيا البلاد اذا ما جادها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يُجَلّى سواد الظلمة القمر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهله ولا البصير كأعمى ما له بصر

وفضيلة العلم أكثر من أن يحصيها باب أو يأتي عليها كتاب .

الباب الخامس
في ذم الجهل وتضليله وكثرة أهل جيله

الجهل نقيض العلم اذا كان مطلقا لم يقل فيه جاهل بكذا يقول جهل فلان حق فلان وجهل على فلان وجهلت هذا الأمر والجهالة أن تفعل فعلا بغير علم والتجاهل أن تفعل فعلا بعلم .

وقيل الجاهل يتعمد والمتجاهل لا يريد أن يفهم والجاهل هو الذي عليه الجهل غالب والمتجاهل المعتمد للجهل القاصد له بالفعل وبينهما فرق .

قال الشاعر :

أجهالا تقول بني لؤى قعيد أبيك أم متجاهلينا

قعيد أبيك أي نشدتك بأبيك .

قال الفرزدق :

قعيدكما الله الذي أنتما له ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

أي أنشدكما الله قال متمم بن نويره :

قعيدك ألا تسمعيني ملامة ولا تنكئي قرح الفؤاد فينجعا

أي نشدتك الله والجهل مأخوذ من الأرضين المجاهل التي لا أعلام لها ولا يهتدي لطرقها الواحدة مجهلة والجهل مستقبح بإجماع ويقال الجهل داء والعلم دواء والجهل عورة تستر والعلم زينة تظهر والجهل نقيصة يستعاذ منها وفسر الجهل في قول موسى عليه السلام أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين يعني السفهاء الذين يسخرون ويهزؤون والعلم فضيلة يرغب إلى الله فيها والجهل اقبح ما في الإنسان والعقل أملح ما في الإنسان .

وقيل أن عمر ـ رحمه الله ـ إذا قرأ ﴿**يا أيُّها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾[1] .

قال الجهل يارب .

ويقال أنزلت هذه الآية في أبي الأسد بن أسد بن كلده ، وكان أعور شديد البطش .

قال لأن أخذت بحلقه من باب الجنة ليدخلنها مشركين ثم قتل يوم فتح مكة .

ويقال نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وفيه نزلت ﴿**ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا**﴾[2] وكان يسمى الوحيد في قومه .

ويقال: وحيدا يعني دعيا .

ويقال: لا مال له ولا ولد .

وقال الكلبي: في الآية الأولى نزلت في أبي بن خلف .

ويقال: من جهل شيئا عاداه وكذلك قوم نوح لما جهلوه وفضله عادوه وكذبوه .

ويقال: المرء عدو لما جهل ولهذا قال يحيى بن خالد لابنه عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فإن المرء عدو ما جهل وأنا أكره أن تكون عدو شيء من العلم وأنشده :

تبين وخذ من كل علم فإنما يفوق امرء في كل فن له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل بـه ولعلم أنت تعلمه سلم
ومن علامة الجاهل أنك تجده للعالم معاديا وعليه زاريا وعنه

---

(١) سورة الانفطار الآية ٦ .
(٢) سورة المدثر الآية ١١ .

منحرفا وعن قوله منصرفا فهو كما قال الشاعر :

ومنزلة الفقيه من السفيه كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد في وصل هذا وهذا منه أزهد منه فيه
إذا غلب الشقاء على سفيه تنطع في مخالفة الفقيه

التنطع التعمق في الكلام .

قال ابن عبدالقدوس :

ودع التعمق في الأمور فإنما قُرِنَ الضلال بكل من يتعمق

قال ابن دريد :

جهلت فعاديت العلوم وأهلها كذاك يعادي العلم من هو جاهل

وقال آخر :

وضد كلامي ما كان بجهله والجاهلون لأهل العلم اعداء

وقلما تكون محنة فاضل إلاَّ من ناقص وبلوى عالم إلاَّ من جاهل

للعداوة بينهما ولفرط تباينهما وقال بعضهم :

وإني شقي باللئام ولا ترى شقيا بهم إلاَّ كريم الشمائل

وقال آخر :

فلا تحسب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ما شاه

وقال آخر : فلا غرو إن يمنى أديب بجاهل فمن ذنب التنين تنكسف الشمس ، التنين نجم من نجوم الحساب وليس بكوكب ولكنه بياض خفي يكون جسده في ستة بروج من السماء وذنبه دقيق أسود فيه التواء يكون في البرج السابع من رأسه وهو ينتقل كمنتقل الكواكب

الجواري واسمه بالفارسية في حساب النجوم جوزهرو في نسخة هشت انتر .

وقيل :ازدبهار وهو من الخوش .

وقال أبو الدرداء:علامة الجاهل ثلاثة العجب وكثرة المنطق فيما لا يعنيه وأن ينهي عن شيء ويأتيه .

وقال المتوكل الكناني :

لا تنه عن خلق وتأتي بمثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حليم

ونصب الياء من تأتي لأنه نهي والواو إذا كانت للنهي فهي تنصب وكذلك الفاء وقال الله تعالى : ﴿**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون**﴾[1] قال الله تعالى : ﴿**لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب**﴾[2] وله زيادة شرح في هذا الباب فتركته .

وقال عمر بن عبدالعزيز : لا يعد منكم من الجاهل كثرة الالتفات وسرعة الجواب وليس حالة اوضع للانسان ولا اضر عليه ولا أجلب للشر إليه ولا أقبح لذكره ولا أحط لقدره ولا أذم لأمره من الجهل فهو الداعي للعار والهادي إلى النار والمبعد عن السلامة والمدني من الندامة والجهل سبب كل معرة وجالب كل مضرة وهو المذهب بخير الدنيا والآخرة وقد شبه الجهال بالأموات وبالدروب المهملات لأن الجاهل ميت وإن كان حيا ومعدوم إن كان شيئا وفقير وإن كان غنيا قال :

---

(١) الآية ٣٥ من سورة محمد
(٢) سورة طه الآية ٦١

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرء لم يحيى بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور

وقال آخر :

رواجل للأسفار لا علم عندهم بمودعها إلّا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أوراح ما في الغرائر

والموت أيسر لمن لا علم له ولا أدب عنده .

وقال بعض الحكماء: الجاهل وإن انقطع فإلى التجهل يفزع والجاهل يرى العلم تكلفا ولؤما كما أن العالم يرى الجهل تكلفا ولؤما .

وقيل لبزرجمهر ما لكم لا تعاتبون الجهال .

فقال: إنا لا نكلف العمي أن يبصروا ولا الصم أن يسمعوا .

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ولداود الأصفاني :

عذرك عندي لك مبسوط والذنب عن مثلك محطوط
ليس بمسخوط فعال امرىء كل الذي يفعل مسخوط

فصل

الجهل في الإبتداء من فاعله جهل على الحقيقة والجهل على الجزاء ليس بجهل على الحقيقة وإنما هو مجاز .

وقد قيل في قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إنه ما أراد الجهل المستقبح وإنما سمى الجزاء على الجهل جهلا لأن ذلك من كلام العرب .

قال الله تعالى :﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾[1] الأولى سيئة والأخرى الجزاء عليها ليست بسيئة ولكنهم يسمون الجزاء على الشيء باسم الشيء وبهذا فسر قول عمرو بن كلثوم لأنه لو أراد الجهل بعينه لكان ذما لا مدحا لأن الجهل لا يمتدح به عاقل ولا يستحسنه أحد وإنما معناه فنهلكه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله فنسب الجهل إلى نفسه لتزدوج اللفظتان فتكون الثانية على مثل لفظ الأولى وهي تخالفها في المعنى .

وقال الله عز وجل : ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾[2].

قال المفسرون : معناه فعاقبوه على اعتدائه والثاني ليس باعتداء في الحقيقة بل هو عدل فسمى اعتداء للإزدواج والتوفيق بين اللفظتين وجاء في الحديث أن الله عز وجل لا يمل حتى تملوا فمعناه أن الله عز وجل لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا مسألته وتزهدوا فيها والله عز وجل لا يمل في الحقيقة ولا يجهل وإنما نسب الملل إليه لازدواج اللفظتين .

وقال بعضهم فتجهل فتجازيه فسمى المجازاة على الجهل جهلا ؛ كما قال الله تعالى : ﴿**يخادعون الله وهو خادعهم**﴾[3] يريد والله أعلم مجازيهم على مخادعتهم وقرأ ابن مسعود بل عجبت ويسخرون معناه بل جازيتهم على عجبهم لأنه تعالى اخبر عنهم في مواضع من القرآن أنهم عجبوا .

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٩٤ .
(٣) سورة النساء الآية ١٤٢ .

فقال عجبت ويسخرون يريد بل جازيتهم على عجبهم والله أعلم .

فصـــل

عن النبي ﷺ خالطوا الناس في اخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم وكذلك قال بعض البلغاء رب جهل وقيت به علما وسفه حميت به حلما ولذا قيل إن الجهل يدفع بالجهل والشر يمنع بالشر والحديد يفلج بالحديد .

وقال : ان الحديد بالحديد يفلج أي يفرج أحدهما من الآخر حتى يخرج من مضيق موضعه ويقطع به .

وقال كعب بن سعد الغنوي .

ولن يلبث الجهال ان يتهضموا اخا العلم ما لم يستعن بجهول

ولعلي بن أبي طالب ويروى للمهدي :

لَإن كنت محتاجا إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض المواطن أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس بالجهل للجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم ومن شاء تعويجي فإني أعوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا وصاحبا ولكنني أرضى به حين أعوج
فإن قال بعض الناس فيه سماحة فقد صدقوا والذل بالمرء أسمج

وقال سقراط:ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة المتطبب للمريض .

وقيل:لا يعرف الجهل إلا عالم ولا يعرف المعصية إلا مطيع .

وقيل طبع الإنسان الجهل وطبع الجهل اللسان وطبع اللسان المعصية .

فصـــل

وأصل بني آدم الجهل والعلم حادث لهم وفيهم وكذلك أصلهم الفقر والغنى حادث لهم وكذلك أصلهم الحرية والرق حادث عليهم ومن ذلك قول علي بن أبي طالب لولده الحسين في رسالته إليه فإن أشكل عليك فاحمله على جهالتك فإنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت وأكثر ما تجهل من الأمر وتتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك فإن العالم من عرف ما يعلم فيما لا يعلم قليل فعد نفسك لذلك جاهلا والجاهل من عد نفسه بما يجهل من معرفة العلم عالما وبرأيه مكتفيا فلم يزل للعلماء منابرا وعليهم زاريا ولمن خالفهم مخطيا ومن جهلك أن تعد نفسك أنك عاقل فاضل ومن عقلك أن تعد نفسك جاهلا والجهل أقوى الحالتين على الإنسان لأن أصله الذي خلق عليه ألا ترى انه مفتقر إلى تعليم العلم ثم ربما لم يأخذ منه شيئا مع الجد فيه والحرص عليه وليس يحتاج إلى تعليم الجهل لأنه فيه موجود .

قال الله عز وجل ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**﴾[1].

فصـــل

يقال لمن لا يحسن العلم هو لا داصة وكذلك هم الذين لا يحسنون ركوب الخيل سأل شاب جاهل أفلاطون كيف قدرت على كثرة ما تعلمت .

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨ .

قال لأني أفنيت من الريب أكثر من ما شربت أنت من الشراب .

وقال فلان صغر من العلم إذا كان خاليا منه ومنه الحديث البيت لا يقرأ فيه القرآن صغر وفي كلام لشيخنا أبي محمد الجهل يداوي بالتعليم والحمق مركب في الطبائع لا يزول إلّا بزوال صاحبه قد يكون الناس جهالا يتعلمون فلا يعانون إذا لم يتعرضوا لما لا يعلمون وكان الحسن إذا استجهل أحدا يقول له يالكع أي صغيرا في العلم جاهلا إن شاء الله .

(مسألة) ويقال لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل .

(مسألة) والجهل جهلان جهل بوجوب النفس ومعرفته وصاحبه معذور منه لعدم الدليل عليه وجهل بمعرفة بحكمه مع العلم به وهذا لا عذر لصاحبه بفعله لأنه قاصد إليه متعمد لفعله جاهل بحكمه وكان جائزا ان يتحاشى من فعله بالسؤال عنه . وعن حكمه ممن يعلمه والله أعلم .

هكذا وجدت عن أبي إبراهيم الأزكاني .

فصـــل

الحمق معروف تقول حمق فلان يحمق حماقة وحمقانا واستحمق إذا فعل فعل الحماقة فاذا صار أحمق قلت حمق ورجل أحمق وحمق قال الشاعر :

قـد يكـثر الحـول التـقى وقـد يكـثر الحمـق الاثيـم

ويقال رجل حول قلب وهو الذي يقلب الأمور ويجيد الحيل فيها .

قال الشاعر :

وما غرهم لا بارك الله فيهم به وهو فيه قلب الرأي حول

وقولهم فلان أحمق معناه متغير العقل أخذ من الحمق بالحمق تولد عند العرب الخمرة .

ويقال :قد حمق الرجل إذا شرب الخمر .

قال النمر بن عبيسة:حمق فاستحصنت إليه فجامعها مظلما .

وقال أكثم بن صيفي في وصية لأولاده:ولا تجالسوا السفهاء على الحمق يريد على الخمر والاقر الحمق والأقير الأحمق وفي مَثَل إن وجد الدفين يغطي على أقر الأفين أي وجد أن المال يغطي على حمق الأحمق .

ويقال:المرأة محمقة ويحمق وهي التي تلد الحمقاء .

ويقال: حمقت المرأة .

قال :

ولـو كنتم لكيسـة لكسـتم وكيس الأم يعرف في البنينا

ولكن أمكم حمقت ومـاقت فـجئتـم أجمعـين الأحمـقينـا

ويروى أحمقينا مورهينا ويروى غثاثا ما يرى فيكم سمينا .

وقد كاس الرجل يكيس كيسا .

وقال جعفر بن محمد:الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة .

وقال جالينوس للمأمون:يا أمير المؤمنين إياك ومجالسة النوكا فإنما نجد في كتب الطب أن مجالستهم تُمِّى الروح والنوكا الحمقاء وقوم نوك ونواكي والنواكة الحماقة قال الشاعر :

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وأي عباد الله أنوك من عجل

أليس أبوهم غار عين جواده فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

وذلك أن ابنا لعجل بن لجيم أرسل فرسا في خيله فجاء سابقا فقال لأبيه يا أبت بأي إسم أسميه .

فقال: إحدى عينيه افقأ وسمه الأعور نظر بود جالس إلى أحمق قاعدا على حجر .

فقال: هذا حجر على حجر .

ويقال: في وجه فلان زواء الأحمق إذا عرفت الحمق فيه قبل أن تختبره وسمع الأحنف بن قيس رجلا يقول ما أبالي أمدحت أم هجيت .

فقال الأحنف استرحت إذا من حيث تعب الكرام ومن أمثالهم استراح من لا عقل له .

وقد ذكرته بتفسيره في كتاب الإبانة .

الباب السادس
في العقل

العقل أفضل ما انعم الله تعالى به على العبد لأن به يعرف الحسن من القبيح وبه وجب الحمد والذم وبه يلزم التكليف لأن الله جل ثناؤه إنما خاطب العقلاء بما يعقلون ومن لم يكن له عقل سقط عنه التكليف بالإجماع .

قال جل ثناؤه ﴿**اعتبروا يا أولي الأبصار**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾[2] والقلب هو العقل فالعقل أفضل نعمة ومن حرم العقل فقد حرم والعقل هو العلم والعلم هو العقل يعني من عقل علم ومن علم عقل ولا يكون العاقل عاقلا إلا بعلم مع عقله والدليل على عقل العاقل أنه إذا علم ما له مما عليه صح أنه قد عقل مع صحة التمييز بين الحسن والقبيح والدليل على ذهاب عقل العاقل هو أخذ ما ترك عليه ماله مع فساد التمييز والعقل عقلان وكلاهما عرض ؛ فعقل اضطرار وعقل اكتساب فأما عقل الإضطرار فالمركب فيه وأما عقل الإكتساب فما اكتسبه من عقله .

وعن النبي ﷺ «لكل شيء آلة وعدة وأن آلة المؤمن وعدته العقل والعقل مأخوذ إسمه من عقال البعير .

يقال عقلت الشيء إذا شددته وضبطته فسمي بذلك تشبيها بعقل الناقة لأن العقل يمنع الإنسان من الإقدام على شهواته إذا قبحت كما يمنع العقال الناقة من الشرود ولذلك قال عامر بن عبدقيس إذا عقلك عقلك

---

(١) سورة الحشر الآية ٢ .
(٢) سورة ق الآية ٣٧ .

عما لا ينبغي فأنت عاقل ويؤيد ذلك ما جاءت به السنة عن النبي ﷺ انه قال العقل نور في القلب يميز به بين الحق والباطل ؛ وعنه ﷺ ما اكتسب الإنسان مثل عقل يهديه إلى الهدى أو يرده عن ردى وعنه ﷺ انه قال لكل شيء دعامة ودعامة عمل المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه ؛ اما سمعتم قول الله تعالى حكاية عن الفاجر حيث يقول يوم القيامة ﴿**لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**﴾[1].

وقال بعض الحكماء:العقل أفضل مرجو والجهل أنكأ عدو وقيل لكل شيء آفة وآفة العقل الهوى .

قال ابن دريد : وآفة العقل الهوى فمن على على هواه عقله فقد نجا .

وقال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوى بصحابه .

قال عبدالملك بن مروان : إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال .

قيل لبعض الحكماء من أشجع الناس وأجرأهم بالظفر في مجادلته .

قال من جاهد الهوى طاعة لربه واحترس من ورود خواطر الهوى على قلبه .

وقال بعض الحكماء:من أمات شهوته أحيا مروءته .

وقال بعض العلماء:ركب الله عز وجل الملائكة من عقل بلا شهوة ؛ وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو

---

(١) سورة الملك الآية ١٠ .

شر من البهائم .

وعن النبي ﷺ الشديد من غلب نفسه .

قال وهب الهوى والعقل يصطرعان في القلب فأيهما غلب مال بصاحبه .

فصـــل

الضحاك في قوله تعالى ﴿لينذر من كان حيا﴾[1] أي من كان عاقلا والعقل أول حجة الله على العبد وعن النبي ﷺ رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس .

وقال ﷺ : «التودد إلى الناس نصف العقل» ، وقال عليه السلام «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض .

وعنه ﷺ أمرت أن أكلم الناس على قدر عقولهم .

وقيل:أتى جبريل آدم عليهما السلام فقال قد أتيتك بثلاث خصال فاختر منهن واحدة فقال آدم عليه السلام وما هن .

فقال جبريل عليه السلام:العقل والحلم والايمان .

فقال آدم عليه السلام:فقد اخترت العقل فقال جبريل عليه السلام للحلم والإيمان انصرفا فقد اختار عليكما العقل فقالا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان .

قال وهب:قرأت في إحدى وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدو الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا كحبة رمل بين رمال الدنيا وأن محمدا ﷺ

(١) سورة يس الآية ٧٠ .

أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا .

وقال: لإزالة الجبال صخرة صخرة وحجرا حجرا أيسر على الشيطان من مكابدة العاقل .

وقال النبي ﷺ:العاقل هو المسلم الذي يتفكر في خلق السموات والأرض فيعمل بطاعة الله ويجتنب معاصي الله .

وقيل:إن رجلا قال لنصراني ما أعقل هذا الرجل النصراني فزجره النبي ﷺ وقال له مه إنما العاقل من أمر بطاعة الله تعالى .

وقوله عليه السلام مه معناه ماكف به المتكلم عما تكلم به بمنزلة صه .

وقال ابن مسعود:يُنهى ان يسمَّي الكافر عاقلا .

ويقال:العقل دون الفهم وهما يتداخلان قيل لبعض العجم ما أفضل مايؤتي به الرجل .

قال:عقل يولد معه فإن عدم العقل فأدب يعيش به .

قال:فإن حرم الأدب فمال يستر به عورته فإن حرم العقل والأدب والمال فجائحة لا تبقى له نسلا .

وقال أنو شروان لبزرجمهر :أي الأشياء خير للمرء .

قال:عقل يعيش به .

قال:فإن لم يكن .

قال:فإخوان يسترون عيوبه .

قال:فإن لم يكن .

قال:فمال يتحبب به إلى الناس .

قال:فإن لم يكن .

قال : فعي صامت .

قال : فإن لم يكن .

قال : فموت جارف . الجارف الذي يبيد ويذهب والطاعون الجارف الذي نزل بأهل العراق ذريعا فسمي جارفا والذريع هوالموت الفاشي الذي لا يتدافنون معه .

وقال النبي ﷺ «أفضل الناس أعقل الناس» وعنه عليه السلام سيد الناس اعقلهم وعنه عليه السلام لكل شيء معدن ومعادن التقوى قلوب العاقلين .

ابن عمر أن النبي ﷺ قال:إن الرجل ليكون حاجا أو مجاهدا حتى يذكر أنواع البر وما يعطي يوم القيامة إلّا على قدر عقله وعنه ﷺ العقل حيث كان ألوف مألوف .

وقال ﷺ:العقل عقلان فأما عقل صاحب الدنيا فعقيم أي لا ينفع وأما عقل صاحب الآخرة فمثمر .

ويقال :الملك عقيم أي لا ينفع فيه نسب لأن الابن يقتل اباه والاخ يقتل أخاه على الملك والدنيا عقيم لا ترد على صاحبها خيرا والإعتقام في الحفر المضي سفلا .

ويقال:من ضعف عقله تلفت نفسه وعن النبي ﷺ من أعطى ثلاث خصال فقد كمل عقله حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على بلاء الله .

وعنه ﷺ أن لله تعالى خواصا في الجنة يسكنهم رفيع الجنان لأنهم كانوا في الدنيا أعقل الناس كانت همتهم المسابقة والمسارعة وهانت عليهم فضول الدنيا وزينتها .

وعنه ﷺ من طريق علي أنه قال لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل ولا عبادة كالتفكر .

أبو الدرداء عنه ﷺ : أنه قال يا عويمر ازدد في الدنيا عقلا تزدد من ربك قربا قلت بأبي وأمي من لي بالعقل .

قال: اجتنب محارم الله وأدّ فرائض الله تكن عاقلا ثم تتقبل صالحات الأعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه عزا .

ويقال: لو صور العقل لأظلمت معه الشمس ولو صور الجهل لأضاء معه الليل .

ويقال: إذا تم العقل نقص معه الكلام وفي الحكم كل شيء كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا .

وقيل: أعقل الناس أعذرهم للناس .

وقيل: عقول كل قوم على قدر زمانهم .

وعن النبي ﷺ ما انتقصت جارحة من الإنسان إلا إذا كانت ذكاء في عقله .

قال أبو العتاهية :

ما يحرز المرء من أطرافه طرفا إلا تخونه النقصان من طرف

وقيل: من زاد عقله نقص من رزقه ولأم إبراهيم بن هليل :

إذا جمعت بين أمرين صناعة فأحببت أن تدري الذي هو أخرق
ولا تتفقد منهما غير ما جرت به لهما الأرزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

والعقل رأس الفضائل وينبوع الأدب والعقل لا يكون عنده كثير نفع بغير علم وأدب وأنما ينفع ويثمر بالعلم والأدب الذي يلحقانه .

وقيل:العقل عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحد منها في الهرب عن الناس .

وقيل:إن عابدا كان في صومعة قد انقطع عن الناس فقيل له لم فعلت هذا .

قال:هربت عن اللصوص سراق القول لا يسرقون عقلي وعدو العاقل نفسه وصديقه عقله .

قال المعتصم : إذا قيل للرجل عاقل مرتين فهو جاهل .

قال محمد بن سعيد : قال لي استاذي أنت عاقل عاقل وعاقل مرتين جاهل والنهبة اللب والعقل يقول إنه لذو نهية وانهم لذو نهى وذو منهاة والنهي العقل وكذلك الحجر والحجر يقول رجل ذو مرة أي ذو شدة وعقل .

قال الله تعالى : ﴿ذو مرة فاستوى﴾[1] معناه وعقل وشدة .

قال الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه

ويقال عقل المرأة في جمالها وجمال الرجل في عقله .

فصـــل

اختلف الناس في العقل وصفاته على مذاهب شتى .

فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات واختلف من قال بهذا القول في محله .

---

(١) سورة النجم الآية ٦ .

فقال: قوم محله الدماغ لأن الدماغ محل الحسن .

وقال آخرون:العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه في حقائق المعنى .

وقال بعض المتكلمين: العقل هو جملة علوم ضرورية .

وقال آخرون:العقل هو المعلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان أحدهما ما وقع على درك الحواس والثاني ما كان مبتدأ في النفوس .

وقال قوم:العقل نور بصيره الله تعالى في القلب يفرق به بين الحق والباطل ويميز به ما يلج على قلبه .

وروي عن النبي ﷺ قال:العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل .

وقال آخرون:العقل خلق خلقه الله وأسكنه قلب ابن آدم ليدعوه إلى الحق وينهاه عن الشر ويميز بدعواه ما لله فيه رضى فيبعث العبد على استعماله وينهاه عن الشر وعن معاصي الله عز وجل وينهاه عن استعماله فان الله تعالى لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال عز وجل ما خلقت خلقا أحب إليَّ منك بك آخذ ولك اعطي ولك الثواب وعليك العقاب يعني اني اثيب من قبل منك واني اعاقب من لا يقبل منك .

وقال اخرون:مواهب الله عز وجل يعطي كل عبد منها ما اذا استعمله نجا ووصل به إلى معرفته ورضوانه وان العبد اذا اراد استعماله أن يقف على قلبه عند همة ليعرف به الحق من الباطل فيستحق العبد اسم العاقل اذا قبل من عقله ولم يخالفه فيما يدعوه اليه فاذا عمل العبد بما دعاه اليه عقله سمي عاقلا واذا عدل عن القبول منه سمى جاهلا

وان كان في قلبه العقل والعقل المكتسب هو نتيجة العقل الغريزي وهو ثقابة المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكر وليس لهذا احد لانه ينمو ان استعمل وينقص ان أهمل .

(مسألة) : قال الشيخ ابو محمد ـ رحمه الله ـ اختلف الفقهاء العقلاء في العقل فقال بعضهم الحساب على كل مكلف وعاقل لأن القلم رفع عن الصبي والمجنون ووقع التكليف على العقلاء .

قال بعض العاقل هو المطيع لله عز وجل واحتجوا بقوله تعالى : **﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾**(١) وقوله تعالى : **﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم﴾**(٢) .

وقال بعض العقل هو العلم واحتج بقوله عز وجل **﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾**(٣) .

فصـــل

اختلف بعد في محل العقل فقال قوم الدماغ وقال ثعلب العقل في الرأس عندهم والعرب تقول ما له عقل ولا قلب بمعنى واحد ومن الناس من يذهب إلى أن العقل في القلب وأن القلب في الصدر من الجانب الايسر .

وقد روي عن النبي ﷺ فيه روايتان احداهما أنه في القلب والآخر في الصدر .

وعن ابي محمد عبدالله بن محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ أن العقل

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٧٩ .
(٢) سورة الملك الآية ١٠ .
(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

في الرأس وكل من نفى ان يكون العقل جوهرا أثبت محله في القلب لأن القلب محل العلوم كلها .

وعن أبي علي ؛ أن محل العقل الدماغ وتدبيره في القلب .

وقال بعض وعلى هذا دلت اللغة لأن الدماغ في أعلى الجسد وفي الرأس .

ويقال لرؤوس الجبال معاقل وللحصون معاقل .

قال ابو ذويبة :

عفا غير نؤي الدار ما أن يبينها وأقطاع طغى قد غفت في المعاقل

وكل موضع عزيز يقال له معقل .

قال بعض الحكماء العقل هبة من الله عز وجل والعلم بالاكتساب .

ويقال للعقل حجر قال الله تعالى : ﴿**هل في ذلك قسم لذي حجر**﴾[1] .

وأنشد الأصمعي :

فأخفيت ما بي من صديقي فإنه لذو نسب دان إلى وذو حجر

قال الله تعالى : ﴿**ويقولون حجرا محجورا**﴾[2] أي حراما محرما

وأنشد لابي طالب :

ألا أصبحت اسماء حجرا محرما وأصبحت من أدنى حمومتها حما

وقال جئت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس أي الدواهي أن يجيء رجع .

---

(١) سورة الفجر الآية ٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٢ .

فصـــل

في القلب قال الخليل القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط .

قال الشاعر :

ما سمي القلب إلّا من تقلبه والرأي تصرف الإنسان أطوار

والجميع القلوب وفي الحديث ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس والقلب والفؤاد اسمان لمعنى واحد وهو بضعة من الإنسان والفؤاد ظاهرها والقلب باطنها الا ترى انه نسب إلى الفؤاد .

فقال عز وجل : ﴿**فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[1] وسمي الفؤاد ، فؤادا لتفاوده والتفاود التوقد وفؤد الرجل وهو مفوود اذا اصابه داء في فؤاده رجع إلى ذكر العقل .

قال كلثوم بن عمرو العتابي في كتابه المترجم بكتاب شحرة العقل بعد خطبته وكلام تقدم هذا كثير وقد يجب على ذي الوصف في حسن التمييز تسهيل القول بما يقرب من فهم العامة الذين ليس لهم عقل من فضل الاستغنا عن ذلك ما للخاصة وكما لهم في الفهم وذلك بعثني على أن مثلت العقل والأخلاق الجميلة التي هي العقل رعية مدبرة والعقل لها راع مدبر ومحل كل خلق منه في قربه وبعده في المراتب التي تخيلهم في صورة شجرة زيادة في الشرح وتسهيلا للمعرفة وتبيانا لما قصدنا اليه واستدعاء لمعرفة العامة وحثا لهم على المعرفة برسم الصورة وحلاوة منظرها ثم تكلمنا بعد صفة ذلك بابا بابا واحدا واحدا بما وسعته الطاقة وبلغته المعرفة وسلس فيه القول تنبيها على خط الرشد ودعاء الى

(١) سورة الحج الآية ٤٦ .

استكمال الفضل وارشادا إلى معالم الهدى والله تعالى اسمه نسأله المعونة على ذلك والتأييد فيه بالتوفيق لما يرضى والعصمة لما يكره ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم صلى الله على رسوله ونبيه وعلى آله سرج الهدى وسلم تسليما كثيرا ثم صورة الشجرة .

كمل العقل قال بعض الحكماء العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد وكل قلب لا عقل له فهو ساقط ميت بمنزلة قلب الهائم ويسمى القلب قلبا لأنه أفضل الأعضاء في الجسد ؛ والقلب الخالص في كل شيء وافضله فالعقل يدفع التدبير إلى القلب لأنه افضل الأعضاء واشرفها .

وقال آخر : المعوقل هو العقل .

قال الراعي حتى إذا لم يتركوا العظام لحما ولا لفؤاده معقولا أي عقلا والفؤاد القلب .

قال بعض الحكماء : العقل غريزة في الإنسان والعلم بالتعليم ومن أجل ذلك قالوا عالم ومتعلم ومعلم ولم يقولوا متعقل ومعقل لأن العقل هبة من الله تعالى والعلم بالاكتساب .

ويقال للعقل حجر قال الله عز وجل ﴿**هل في ذلك قسم لذي حجر**﴾[1] .

فأنشد الأصمعي :

فأخفيت ما بي من صديقي وينه لذو نسب دان الذي وذو حجر

وكذلك الحرام حجر من قوله تعالى : ﴿**ويقولون حجرا محجورا**﴾[2] أي حراما محرما وانشد لأبي طالب :

ألا أصبحت أسماء حجرا محرما وأصبحت من أدنى حمومتها حما

---

(١) سورة الفجر الآية ٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٢ .

وقال الملتمس :

جئت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس

أي الدواهي ارتحل كمل العقل بجميع حاله وخالصه والحمد لله رب العالمين .

وهذه صورة العقل والأخلاق الجميلة على مثال شجرة لها عقدتان يتفرق بثمانية أغصان واحدى وثلاثين شعبة وهي شجرة متفرعة شعبها بأنواع الخير متدلية أغصانها بفنون العقل فجناؤها ثمار الفائدة من كريم العائدة يقتبس منها ضياء الحكمة ويستضاء بها إلى معالم الهداية فلقحها الاستماع والتفهم والرغبة ترتع في ظلها وانيق زهرتها واعلم أن حسن الذهن ينميها ويزكيها وأن كمال ذلك كله بتوفيق الله عز وجل وارشاده وإلى الله أرغب في ذلك بقدرته لم نتم كلامه لأنه طويل فتركته وقد حصلت .

(مسألة) : في العقل في باب ما لا يجوز من الصفات بعد هذا إن شاء الله تعالى .

الباب السابع

في تفضيل العلماء وأعظمهم وتبجيلهم واكرامهم

قال الله تقدست أسماؤه : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[1] ، قال تعالى : ﴿**وما يعقلها إلا العالمون**﴾[2] ؛ وقال عز وجل : ﴿**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[3] وقال جل جلاله : ﴿**وما يستوى الأحياء ولا الأموات**﴾[4] .

وقيل: الأحياء العلماء والأموات الجهال .

وقيل: الأحياء المؤمنون والأموات الكفار فمنع الله تعالى اسمه المساواة بين العالم والجاهل ونفي أن يكون غير العالم يعقل عنه امرا ويفهم عنه زجرا .

وعن النبي ﷺ انه قال:الناس موتى إلا العالمون والعالمون سكرى إلا العاملون ؛ والعاملون هلكى إلا المخلصون على خطر عظيم .

وعن سويد بن عقبة عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ يا عبدالله بن مسعود قلت لبيك يا رسول الله .

قال : أتدري أي الناس أفضل .

قال: قلت الله ورسوله أعلم .

قال:فإن افضل الناس افضلهم عملا إذا فقهوا في دينهم ثم قال يا عبدالله بن مسعود قلت لبيك يا رسول الله .

قال: اتدري أي الناس اعلم قال قلت الله ورسوله اعلم .

---

(١) سورة فاطر الاية ٢٨ .
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .
(٣) سورة الزمر الآية ٩ .
(٤) سورة فاطر الآية ٢٢ .

قال: اعلم الناس ابصرهم بالحق إذا اختلف الناس وان كان مقصرا في العمل وأن يزحف على أسته .

أبو موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ يبعث الله تعالى العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يا معاشر العلماء إني لم اضع فيكم علمي إلا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لأعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم .

عن كثير بن قيس قال : كنت جالسا مع ابي الدرداء ؛ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر .

وقال ﷺ: فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب وعنه ﷺ فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وعنه ﷺ فضل العالم على العابد سبعين درجة بين كل درجتين خطوة فرس سبعين عاما .

وعنه ﷺ: حملة العلم هم ورثة الأنبياء ومصابيح الهدى وأمناء الله على وحيه ما لم يركنوا إلى الدنيا فإذا فعلوا ذلك فاتهموهم على دينكم .

عائشة ـ رحمها الله ـ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من وقر عالما فقد وقر به عز وجل ومن فعل فقد استوجب المآب على الله عز وجل .

وعنه ﷺ أنه قال: من اعظم جلال الله اكرام ثلاثة قارىء القرآن غير المغالي فيه ولا الجافي عنه والعالم وذوو الشيبة المسلم .

وعنه ﷺ انه قال:ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف الفضل لعلمائنا وفي خبر ويجل كبيرنا .

ويقال: ان اجلال العالم من اجلال الله تعالى جل جلاله .

ويروى عن ابن عباس أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت وقال هكذا امرنا أن نفعل بعلمائنا .

وقيل أنه اراد زيد بن ثابت الركوب فاخذ ابن عباس بركابه .

فقال: هكذا امرنا أن نفعل بعلمائنا فاخذ زيد بن ثابت بيد ابن عباس فقبلها وقال هكذا امرنا بأن نفعل باهل بيت نبينا ﷺ .

وعن ابن عباس:أنه كان يحضر مجلسه حبشي اسود او نوبي وكان يرفعه على القوم ويصدره في المجلس فقيل له في ذلك .

فقال:هذا رجل اكرمه الله بالعلم وقيل لا يزال الناس بخير ما عظموا الأشراف وفضلوا العلماء واجلوا المشايخ .

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:اقرب الناس درجة من درجة الأنبياء أهل العلم وأهل الجهاد فأما أهل العلم فقالوا بماجاءت به الأنبيا وأهل الجهاد فجاهدوا على ما جاهدت به الانبيا صلى الله عليهم ، بعلمهم .

عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال:فقيه واحد اشد على ابليس من ألف عابد .

أنس بن مالك : عنه ﷺ انه قال : العلم للعامة والعابد للرجل وحده .

وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة**﴾ [1] قال العلماء زينة الأرض .

---

(١) سورة الكهف الآية ٧ .

وعن ابن عباس وطلحة وعطاء في قوله تعالى : ﴿**أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**﴾[1] .

قالوا نقصان الأرض بموت العلماء وذهاب فقهائها .

وقوله تعالى : ﴿**قد علمنا ما تنقص الأرض منهم**﴾[2] .

قال مجاهد : من علمائهم .

وقيل: غير ذلك .

انس بن مالك : عن النبي ﷺ أنه قال : مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة ؛ وعنه ﷺ موت العالم ثلمة لا تجبر ما اختلف الجديدان وهو نجم قد طمس وموت قبيلة ايسر من موت عالم وفي خبر موت العالم ثلمة في الاسلام .

ويقال خير من العلم حامله وخير من الذهب باذله ؛ ابراهيم قال الفقهاء والعلماء او صياء الأنبياء وعن انبي ﷺ أنه قال العلماء مفاتيح الجنة وخلفاء الأنبياء .

وعنه ﷺ:ويشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء والعلماء والشهداء وفي الحديث إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة للعابد يدخل الجنة وللعالم فاشفع للناس وفي خبر وللعالم اتئد حتى تشفع للناس .

ابن عباس : أن الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته برفع اعلام اهل العلم .

عن مالك بن انس عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة : أن النبي ﷺ قال إن الله تعالى حبس على العلماء عقولهم وأفهامهم فلا

---

(١) سورة الرعد الآية ٤١ .
(٢) سورة ق الآية ٤ .

يسلبونها إلى الممات والعلماء ورثة الأنبياء وملح الأرض ومصابيح الدنيا .

وقال عوانه تشاجر قوم في مسجد البصرة والمسجد مشحون برجال العرب فتراضوا بالحسن البصري وتحاكموا إليه .

فقال الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوجد بالعلم فإلى ذل يصير وقال عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ وذكر العلماء فقال تعطف عليهم بالعلم قلوب لا تصورها الأرحام تصور أي تمثل .

فصـــل

منه عن النبي ﷺ جالسوا العلماء وسائلوا الكبراء وخاطبوا الحكماء .

وقال بعض الحكماء:من صاحب العلماء وقرو من صاحب السفهاء حقر واتباع العلماء واجب .

قال الله عز وجل:حكاية عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم **﴿يا ابت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا﴾** (١) والعلماء ودائع المسلمين وعندهم ميراث النبيين وحكمة الله التي يستدل بها عليه والعلماء جعلهم الله حجة بينه وبين عباده وامرهم أن يقبلوا قولهم ويهتدوا بهداهم .

فقال عز وجل : **﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** (٢) .

كان مسعود يقول بأبي وامي العلماء بروح الله انقلبتم وكتاب الله تلوتم ومساجد الله عمرتم ورحمة الله انتظرتم .

---

(١) سورة مريم الآية ٤٣ .
(٢) سورة النحل الآية ٤٣ .

وقيل:العلماء منار البلاد ومنهم يقبس النور الذي يهتدون به .

بكر بن عبدالله قال : قال ﷺ لأصحابه إن من العلم ما يكون كهيئة الشيء المدفون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم يجهله أهل العزة بالله اتدرون ما قال ليّ جبريل عليه السلام ، قال يا محمد لا تحقرن عبدا اتاه الله علما فإن الله لم يحقره حين علمه إن الله جامع العلماء في بقيع واحد او قال في صعيد واحد .

فيقول الله عز وجل لهم إني ما استودعتكم علمي الا لخير ارتده بكم فقد غفرت لكم على ما منكم .

الحسن قال:مداد العلماء يوزن بدم الشهداء يوم القيامة .

سعيد بن جبير قال اذا كان يوم القيامة يوزن حبر العلماء ودم الشهداء فيرجح حبر العلماء على دم الشهداء .

وقيل:العلماء غرباء لكثرة الجهال وقيل كلمت النبي ﷺ جارية من السبي .

فقال لها:من انت فقالت بنت الرجل الجواد حاتم .

فقال ﷺ:ارحموا عزيز قوم ذل وارحموا غنيا افتقر وارحموا عالما ضاع علمه بين جهال .

وعنه ﷺ:رحمت عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما لما تلاعب بعلمه الجهال .

قال الشاعر :

إني من النفر الثلاثة حقهم أن يرحموا لحوادث الأزمان
مثر أقل وعالم مستجهل وعزيز قوم ذل بلحد ثان

ويقال الغرباء في الأرض اربعة مصحف معلق لا يقرأ فيه وقرآن

في قلب فاسق يعمل به ومسجد في ظهراني قوم لا يصلون فيه وعالم بين جهال لا يسألونه يتلاعبون به وفي الحديث مثل العالم كالجمة ياتونها البعداء ويزهد فيها القرباء فبينما هم كذلك اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون يعني يتندمون والتفكن التندم والتلهف على الشيء يظن انه يظفر به فيفوته والمتفكن المتندم .

قال الشاعر :

ما جزاء العارف المستيقن عندك إلاحاجة التفكن

والجمة عين فيها ماء جار يستسقى منه ؛ وقيل هذا مثل للعرب .

قال المسبح بن حاتم :

لا نرى عالما يحل بقوم فيحلوه غير دار الهوان

قلما توجد السلامة والصحة مجموعتين في إنسان

فاذا حلتا مكانا سحيقا فهما في النفوس معشوقتان

هذه مكة الشريفة بيت الله يسعى لحجها الثقلان

ونرى ازهد البرية في الحـ ـج لها اهلها لقرب المكان

ويقال :أزهد الناس في عالم جيرانه .

ويقال : أهله .

وقال بعض البلغاء:إن من الشريعة ان تجل أهل الشريعة ومن الصنيعة أن يرب أهل الصنيعة ومعنى يرب أي يراد لئلا يعفو أثرها .

الرجل اذا ذهب ماله وتقول اتوى الرجل ماله هذا عن الخليل .

قال ابو العباس محمد بن احمد بن الوليد : التوى مقصور يكتب بالياء وكذا وجدت ايضا عن غيره انه مقصور وقال ابن دريد :

اذا ذوي الغصن الـرطيـب فاعلمن أن قصاراه نفاد وتوى

فصـــل

أبو عبيدة باسناد له عن عبدالله أن كل مؤدب يجب أن يؤتي أدبه وأن ادب الله القرآن والأدب مأخوذ من المأدبة والمأدبة الطعام يتخذ فيدعى إليه الناس وكأن الله وعزل جعل القرآن أدبا للناس يتأدبون به ويقال أدب فلان القوم يأدبهم اذا دعاهم إلى طعامه وجمعهم عليه والداعي اليه الأدب .

قال طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا تـرى الآداب فينا ننتقـر

النقرى دعوة الخاصة والجفلى دعوة العامة وفي حديث الكعب أنه قال : إن لله مأدبة من لحوم الروم بمروج عك يريد أن الله تعالى جده يقتل الروم هناك فتنتاب لحومهم السباع والطير فكأنها مأدبة الله عز وجل .

والأدب اسم من تأدب أدبا كما تقول حلب يحلب حلبا والاسم الحلب ، وتقول أدب الرجل فلانا أدبه وأدبه المؤدب معناه أعاد عليه القول بالدعاء إلى الرياضة والتعليم والتشريف فوقع فيه التكرير والولد مؤدب أي مدعو إلى الرياضة مرة بعد مرة .

فصـــل منـــه

قال رجل لعيسى عليه السلام : يا روح الله أيحسن بالشيخ الكبير أن يطلب الأدب فقال عيسى عليه السلام : ما حسنت الحياة فالأدب يحسن . وقيل لارسطا طاليس : ما أحسن الحيوان ؟ قال الإنسان المزين بالأدب ففي الأدب الجمال والمهابة والجلالة وبه يسمو الرجل أعلى الرتب وربما سلم به من العطب كما روي أن عبدالملك بن مروان جلس ذات يوم للناس ، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين إني تزوجت امرأة وزوجت إبني امها فإن رأيت أن تأمر لنا بعطائنا حتى نرم شأننا ونضم أهلينا فأطرق عبدالملك بن مروان رأسه ثم رفع رأسه فقال له : ان وُلِدَ لكما غلامان فما القرابة بينهما ان قلته أمرت لك بعطائك وأضعفتهما لك ففكر الرجل ساعة ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب شرطك وليته سيفك وما وراء ذلك فاسأله عنها فأن أصابها فعطائي له وان لم يصبها فانا اعذر ، قال صدقت وسأل صاحب شرطه عن المسألة فأخطأ فسأل جميع من حضره فلم يصب أحد منهم فقال رجل من اخريات الناس من أهل العراق يتظلم من عامل له فقال : يا أمير المؤمنين ان أنا أخبرتك بذلك تأمر بقضاء حاجتي قال : نعم .

قال : ابن الأب عم ابن الابن وابن الابن خال ابن الأب .

فقال عبدالملك : لله در أبوك ثم أمر له بعشرة الآف درهم وكسوة وكتب له بعزل العامل ثم التفت إلى أصحابه فقال لله در الاب أي ميراث ومثله ما روي عن القربان انه أتى برجل سكران فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره وان نزلت يوما فسوف تعود ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ، فمنهم قيام حولها وقعود

فأمر بتخلية سبيله ثم قال لبعض الشرط إسأل عن هذا من أين هو فسأل عنه فقال هو ابن باقلاني فضحك القربان ثم قال : لله در الأدب ومثله ما روي عن رجل وجده صاحب العسر وهو يطوف للسلطان بالليل فاخذه ليعاقبه ثم سأله من أنت ؟ .

فقال : أنا ابن من تخضع الرقاب له برحمة الله أيما رجل يأخذ من مالهم ومن دمهم وليس من ثأرهم على وجل فخلى سبيله ، ثم سأل عنه فاذا هو ابن حجام فاستحسن ما سمع من أدبه ولطيف ما خلص به نفسه والأدب أفضل حلية يتحلاها الرجل ومن لا أدب له فخرسه أجمل به من نطقه وموته أستر له من حياته .

قال الشاعر :

ما وهب الله لامرىء هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا فقده للحياة أجمل به
وهو أكثر مما عليه .

وقد ذكرت منه صدرا في باب الآداب فاختصرته ها هنا .

الباب العاشر
في آداب العلماء

من آداب العلماء أن يؤدبوا أقوالهم ويهذبوا أفعالهم وأن يأتوا في كل مقام بمقالة وكل أوان بمقتضى حاله لأنهم الضياء من الغمة والمصباح في الظلمة والصلاح للأمة بأقوالهم يهتدى وبأفعالهم يقتدى وهم ورثة الأنبياء وملح الأرض ومصابيح الدنيا وقادة الأتقياء والأدلاء عند العمى والمشهورون في الأرض والسماء والأئمة الأخيار والربانيون والأحبار والعلماء بالله وألسنة ودعاة الناس إلى الجنة فعليهم أن يتأدبوا ويتهذبوا قبل أن يهذبوا والا فما فضيلة العلم إن لم يكونواكذلك .

وقد حكى أن عبدالملك بن مروان أنه قال للشعبي كم عصاك .

قال : الفين .

قال لحنت : قال لما ترك أمير المؤمنين الأعراب كرهت أن أعرب كلامي عليه فانظر إلى لطيف جوابه وطريق ما أتى به .

حكى عن الاصمعي انه دخل يوما على الرشيد بعد غيبة كانت منه ، فقال يا أصمعي كيف كنت بعدي .

فقال ما لا قتني بعدك الأرض فتبسم الرشيد فلما خرج الناس قال له ما لا قتني بعدك الأرض .

قال ما استقرت بي الأرض أرض كما يقال فلان ما يليق شيئا أي ما يستقر معه شيء .

فقال:هذا حسن ولكن ما ينبغي أن تكلمني بين ايدي الناس بما لا افهمه فإذا خلوت بك فعلمني فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالما إما

أن سكت فيعلم الناس أني لا أفهم إذا لم أجب وأما إن أجبت بغير الجواب فيعلم من جوابي أني لا أفهم .

قال : قال الأصمعي فعلمني أكثر مما علمته وحكى عنه أيضا قال قال لي الرشيد : يا عبدالملك أنت أعلم منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا في ملأ ولا تسرع في تذكيرنا في خلاء فاذكرنا حين نبتديك بالسؤال فاذا بلغت من السؤال حسب الاستحقاق فلا تزد إلى أن نستدعي ذلك منك ومن آداب العلماء نزاهة النفس والقناعة وصون النفس عن الطمع والشناعة .

وقال علي بن عبدالعزيز :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن اكرمته عزة النفس أكرما
ولم اقض حق العلم إن كنت كلما بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح ليّ يستفزني ولا كل اهل الأرض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى ولكن نفس الحر تحتمل الضما
إلى أن أرى من لا يغض بذكره اذا قلت قد أسدى إلي وأنعما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لا قيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن اهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أذلوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

والهدية للعلماء جائزة لهم على وجه الاكرام لهم لا على وجه التقية منهم ولا لعوض العلم الذي يعلمونه فإن هذا على هذه الجهة لا يحل لهم وقد كان العلماء تأتيهم الهدايا والصلات من إخوانهم من الافاق إلى

مكة فيقبلونها فإذا كان ذلك من وجه الكرامة لهم او الصدقة عليهم فلا بأس غير أن العلماء لهم تنزه عن هذا اجلالا للعلم وإن كان حلالا .

ومن أدب العلماء أن يتأدبوا بآداب الله قولا وفعلا وأن تكون أقوالهم مضاهية أفعالهم .

وقد قال مالك بن دينار : إن العالم اذا لم يعمل بعمله زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا ونحوه .

قال زياد : اذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب واذا خرج من اللسان لم يجاوز الاذان .

ومن اداب العلماء أن يقصدوا بتعليمهم وجه الله عز وجل من غير عوض ، قال الله تعالى : ﴿**ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا**﴾[1].

قال أبو العالية : لا تأخذوا عليه اجرا وهو مكتوب عندهم في الكتاب يا بن آدم علم مجانا كما علمت مجانا والمجان عطية شيء بلا منة ولا ثمن .

قال الشاعر :

للهدايا من القلوب مكان وهي مما يحبه الإنسان

لا سيما ان امنت منها المكافاة وأيقنت أنها مجان ومن آدابهم النصح لمن علموه والرفق بهم أن لا يعنفوا معلما ولا يحقروا ناشئا ولا يستصغروا مبتدئا .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف ومن ادابهم ان لا يمنعوا طالبا ولا ينفروا راغبا ولا يؤيسوا متعلما ولا يلبسوا متفهما .

---

(١) سورة البقرة الآية ٤١ .

وقد روي عن النبي ﷺ انه قال الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى يا رسول الله . قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولا يدع القرآن رغبة إلى ما سواه الا لاخير في عبادة ليس فيها تفقه ولا في علم ليس فيه تفهم ولا في قراءة ليس فيها تدبر.

فصـــل منـــه

عن الأخطل بن المغيرة : أن العلماء استودعوا العلماء حلال الدنيا وحرامها وليس كل مؤتمن على ذلك وقد تكلمت العلماء باتفاق واختلاف وافتراق فماجاء عنهم باتفاق فهو الحق لا ريب فيه وما جاء عنهم بافتراق فإن بيان الحق من الباطل في ذلك بمقابلته وعرضه على حكم كتاب الله والسنة وآثار ائمة الهدى وما جاء عنهم باختلاف فمن عرف الحق من اختلاف أخذ به وإلا أخذ لنفسه بالوثيقة لاختلافهم فوقف على ما تبين منه للحق .

وسؤال منه ويلقى الله تعالى على ذلك ما لم يضيع في اختلافهم فريضة او ينتهك محرما وينبغي للعلماء أن يخفوا أديانهم إما صيانة لها أو تقية فيها فهو أعظم لقدرهم وأسلم لأمرهم .

وروي عن المعتمر بن عمارة ؛ وكان من خيار من ادركته من المسلمين : أنه قال : حق على كل ذي دين أن يدين لله تعالى بكتمانه ما لم يحتج إليه وينبغي لهم أن لا يعطوا العلم من لا يتولونه ولا يمنعوه ممن يتولونه وكذلك ينبغي أن لا يعطوه حياء وذلك أن يكون الرجل لا يتولى فيستحق فيستحي منه فيعطي العلم وينبغي لهم أن يعظوا أنفسهم قبل ان يعظوا سواهم ولا يكونوا ممن يعظ غيره ويدع نفسه فيكونوا كما قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فانت حليم

وكما قال احمد يوسف :

وعامل بالفجور يأمر بالبر كهاد يخوض في الظلم
او كطبيب شفه سقم وهو يداوي من ذلك السقم
يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهر اولا ولا تلم

وقال آخر :

عود لسانك قلة اللفظ واحفظ لسانك أيما حفظ
إياك أن تعظ الرجال وقد أصـ ـبحت محتاجا إلى الوعظ

(مسألة) : وجائز للعالم أن يقول للجاهل إعلم مثل علمي مما تعبدك الله فيما لا يسعك جهله ولا ينقطع عند العالم بذلك فإن قال له إعلم ما يسعدك جهله على وجه الندب فجائز أيضا .

وقد رغب المسلمون في تعليم ما يسع جهله .

وقول من قال إن عذر العالم ينقطع بقوله هذا للجاهل خطأ من قائله واما الجاهل فلا يجوز له أن يقول للعالم أرجع إلى جهلي .

الباب الحادي عشر

ما يجب على العلماء في التعليم

قال الحكم بن عيينه في قول الله عز وجل : ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾[1] .

قال ما أتى الله تعالى عالما علما الا اخذ ميثاقا أن لا يكتمه .

وقال على ما اخذ الله تعالى الميثاق من أهل الجهل بطلب العلم حتى اخذ ميثاقا من اهل العلم ببيان العلم لأن الجهل كان قبل العلم .

عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضا فإن خيانة الرجل في علمه أشد من خيانته في ماله والله تعالى يسأل عنه .

وقال الله عز وجل : ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**﴾[2] .

وعن النبي ﷺ أنه قال : لا تمنعوا العلم أهله فإن في ذلك فساد دينكم وفساد بصائركم ، ثم قرأ هذه الاية ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا**﴾ .

وعنه ﷺ من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار .

وعنه ﷺ من كتم علما بحسنة إن الله يسأله عنه يوم القيامة عن فضل علمه كما يسأله عن فضل ماله .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٩ .

وعنه ﷺ من كان له علم فليتصدق من علمه ومن كان له مال فليتصدق من ماله ومن كان له قوة فليتصدق من قوته ومثل عالم لا يتكلم كمثل ضم قائم او كنز لا تؤدي زكاته .

قال ابن الأرزق لابن عباس : وقد جلس بفناء الكعبة قد أسدل رجليه في حوض زمزم والناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن والحلال والحرام وهو لا يتعايا بشيء يسألونه عنه ؛ يا ابن عباس ما يحملك على تفسير القرآن هذه والله الجرأة على الله .

فقال ابن عباس مجيبا لنافع ابن الأرزق يا ابن ام الأرزق ثكلتك امك اولا أدلك على من هو أجرأ مني .

قال: دلني عليه .

قال رجل تكلم بما لا علم له به او رجل كتم الناس علما علمه الله فذلك اجرأ مني يا ابن ام الأرزق .

وعن النبي ﷺ انه قال : من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة مغلولا ملجما بلجام من نار ومن طريق انس عنه ﷺ انه قال من كتم علما عنده أو اخذ عليه أجرا لقي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ؛ ونهي ﷺ عن كتمان العلم اذا طلب وان يعلم العلم غير أهله ممن لا يعمل به .

وقال ﷺ:من تعلم علما فليعلمه الناس ولا يقول ما لا يعلم ولا علم له به .

وقال ﷺ:من باع العلم أو أخذ عليه ثمنا أو كتمه أهله أو أعطاه غير أهله أو منعه أهله لا يزال في سخط الله حتى يتوب من ذلك وحاجة العلم يوم القيامة مخصوما ألا وان متعلم الخير ومعلمه ﷺ وملائكته

ورسله وطير السماء ودواب الأرض وحيتان البحر وصالح عباد الله في السموات والأرض .

وعنه ﷺ ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه فلو لا ان تعليم الجاهل واجب على العالم لازم له لما كان له الويل في السكوت وتعليم الجاهل واجب على العالم لازم له فريضة وليس بتطوع .

وعنه ﷺ انه قال : تعلموا العلم وعلموا من لا يعلم فإن من علم مسلما شيئا من أمر دينه قلد يوم القيامة قلادة من نور يتعجب منه الأولون والآخرون .

وقيل في الحكمة:من كتم علما فكأنما هو جاهل .

وقال ابو موسى من علمه الله علما فليعلم الناس ولا يقولن لا أعلم فيمرق من الدين .

وقال خالد بن صفوان : اني لأفرح بافادتي للتعليم اكثر مما افرح باستفادتي من العلم .

وقال النبي ﷺ:تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده .

وقال ابن مسعود:تعلموا وعلموا فان اجر المتعلم والمعلم سواء .

قيل: وما اجره .

قال: مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة .

وقال ابن عباس:علم علمك وتعلم علم غيرك فاذا انت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وان يصان العلم بمثل بذله ولن تستقي النعمة فيه بمثل نشره .

عطاء الخراساني انه قال : اوثق علمي في نفسي نشر العلم ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿**وجعلني مباركا أينما كنت**﴾ .

قال إنه سأل ربه أن يجعله معلما مؤدبا حيثما توجه وعن النبي ﷺ يا أبا هريرة علم الناس ما ينفعهم من امر دينهم يكن فضلك عليهم كفضل الأصبع الوسطى على سائر الأصابع كان ابوالدرداء لا يصبح يوما بدمشق الا قال يا اهل دمشق لقد اصبحتم شباعا من الطعام جياعا من العلم مألي اراكم تطلبون ما تكفل لكم به وتذرون ما خلقتم له الا فاعلموا وتعلموا فان العلم والمتعلم في الاجر سواء ولا خير في الناس بعدهما اقتصاد في السنة خير من اجتهاد في بدعة وترك الخطيئة خير من طلب التوبة والصمت عن الباطل خير من تكلم فيه وتكلم في الحق خير من الصمت عنه .

وقال اكثم بن صيفي : شكر العالم على علمه أن يبذله لمن يستحقه

فصـــل منـــه

ويجب على العالم مجانبة العجب فإنه بكل قبيح وبالعلماء واقبح وهو مناف للفضل وعن النبي ﷺ ان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ويجب ان يكون حسن الخلق متواضعا رفيقا بالمتعلمين محتملا لتكرار المتفهمين واسع الصدر كثير الصبر عديم الضجر حليما كريما رفيقا شقيقا رحيما لطيفا حبيبا عفيفا لأنه بمنزلة المتطبب الذي يعالج الأمراض فينبغي أن يرفق في معالجته ويعطف بحلمه ليحيى بمعرفته ويجب أن يكون كثير الصمت والوقار والسكينة .

فقد قيل عن ملك الروم أنه قال لأفضل علم العلماء الصمت .

وقيل العلم عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت .

وقال عبدالله : اذا تعلمتم علما فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بباطل فتمجه القلوب ويقال من ضحك ضحكة فقد مج من العلم مجة والمج تحرك واضطراب .

وقال كسرى : امتحنوا الإنسان بعد أن يمج من عقله مجتين او ثلاثا يعني بعد ان يشرب رطلين او ثلاثة من الشراب والمجمجة تخليط الكتب وافسادها بالقلم والضرب عليه ومج الرجل الشراب من فيه رمي به والاذن تمج الكلام لا تقبله .

ويقال : متمجمج ومترجرج سواء الماج الاحمق الكثير ماء القلب .

وقيل : سمي مجاجا لأنه مج عقله .

فصل منه

ويجب على العالم أن يتوسم المتعلم بفراسته ليعلم بها استحقاق حالته ومبلغ طاقته فيعطيه ما يحتمله ولا يزيده فيذهبه وفي ذلك راحة للعالم واستراحة للمتعلم .

وقد روي عن انس عن النبي ﷺ أنه قال ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم والتوسم النظر والمتوسم الناظر المتثبت .

قال الله تعالى ﴿**إن في ذلك لآيات للمتوسمين**﴾[1] أي للناظرين المتبصرين .

وتقول توسمت في فلان خيرا اذا رأيت عليه أثرا من الخير .

وقال الشاعر :

توسمت حتى رأيت مهابة عليه فقلت المرء من آل هاشم

---

(١) سورة الحجر الآية ٧٥ .

وقال زهير :

وفيهن ملهى للحديث ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم

وعن النبي ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ اذا انا لم أعلم ما لم أر فلا علمت ما رأيت .

وقال عبدالله بن الزبير : لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه .

قال ابو عمرو بن العلاء : كان ابن عباس المعيا .

قال ابو عبيدة الألمعي الذي يهجم يظنه على اليقين ؛ قال اوس بن حجر :

ألا لمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

قال أبو العينا : فسألت الأصمعي عن الألمعي فقال الذي يلمع له الحق في ظنه فيهجم عليه .

قال وسألت ابا زيد عن الألمعي فقال الذكي المتوقد الذي يكون بظنه اوثق من يقين غيره وأنشد الأصمعي :

رأيت ابا الوليد غداة جمع به شيب وما فقد الشباب

ولكن تحت ذاك الشيب حزم اذا ما ظن امرض او اصابا

وانشدتها ابا عبيدة فقال اعرض واصاب وقال خلف الأحمر الكيساني ويلك الزم الأصمعي ودع ابا عبيدة أفرس الرجلين بالشعر .

وقال ابن الرومي :

الا لمعي يرى بأول رأي آخر الأمر من وراء المغيب

لو دعي له فؤاد ذكي ما له من ذكائه من ضريب

لا يروى ولا يقلب طرفا واكف الرجال في تقليب

ويجب على العالم أن لا يبخس الذكي ولا يزيد البليد فيحرم من يستحق الزيادة ويتهم على ذي البلاده ويجب على العالم ان يصون العلم بوضعه في أهله ومنعه غير أهله .

وقد روي انس بن مالك عن النبي ﷺ قال واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ او الجوهر والذهب .

وعنه ﷺ من طريق انس أيضا انه قال لا تطرحوا الدر في افواه الكلاب .

وعن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال : لا تلقوا اللؤلؤ للخنزير فالعلم أفضل من اللؤلؤ ومن لا يستحقه أشر من الخنزير .

قال الشاعر :

إني وتزييني بمدحي معشرا كمعلق درا على خنزير

حكي ان تلميذا سأل عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل له منعته فقال لكل تربة غرس ولكل بناء اس .

وقال بعض البلغاء لكل ثوب لابس ولكل علم قابس .

ويقال ولكل فرج لامس .

وقال بعض أهل الادب إنك لروضة توسطها خنزير وإنك لعلم حواه سرير .

وعن عيسى عليه السلام : لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم .

وقال من أعطى الحكمة غير أهلها خاصمته الحكمة إلى ربها وللشافعي وجدت في بعض الكتب أنها لبعض الحكماء :

أنثر درا وسط سارحة النعم وأنظم منثورا لراعية الغنم
لعمري لأن ضيعت في شر بلدة فلست مضيعا عندهم غرر الكلم
فإن فرج الله اللطيف بفضله وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
صبرت مفيدا واستفدت ودادهم والاَّ فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
ومانعو علم الدين ممن يريده يبوء باوزار واثم اذا حرم

وللمتنبي فقال :

قالوا نراك تطيل الصمت قلت لهم ما طول صمتي من عي ولا خرس
لكنه أفضل الأمرين عاقبة عندي واجمله من منطق شكس
أأنشر التبر فيمن ليس يعرفه أم أنشر الدر بين العمي في الفلس

وقيل كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن يلتمس منه شيئا من الفقه فأخر عنه ما يلتمس وكتب إليه بأبيات وهي هذه الأبيات :

قل لمن لم تر عين من رآه مثله ومن رآه وجهه قد رآه قبله
العلم ينهي أهله أن يمنعوه أهله لعله يبذله لأهله لعله

وحكى أن هذه الأبيات آخر ما قال من الشعر وينبغي للعالم أن لا يعجل ببذل العلم لطالبه في أول مرة بل يردده ثلاث مرات وبعده فلا يؤيسه منه ولا يبعده فإن وجده معاودا طالبا ومترددا راغبا أجاب مسألته واعطاه بغيته وإن وجده تاركا للمعاودة فليس هو من أهل الفائدة لأن الطالب عن رغبة صحيحه وصحبة صريحة يحتمل الأذى ويستقل الجفاء ويزداد على الطلب حرصا ولا يرى ذلك عليه نقصا ولا يستنكف عن المعاودة ولا ينصرف عن طلب الفائدة .

وقد رفع عن ابي محمد عبدالله بن محمد بن بركة ـ رحمه الله ـ انه كان يتردد الى ابي مالك ـ رحمه الله ـ طالبا للتعليم وهو يدافعه دفعات فلما تصور رغبته وتحقق ارادته أقبل عليه وعلمه وقربه واكرمه فينبغي للعالم اذا رضي من جاءه للتعليم أن يعلمه ولا يحرمه .

وقد روي عن النبي ﷺ انه قال : استودعوا الأحداث العلم اذا رضيتموهم وان رآه للجهل راكبا وعن التعليم ناكبا اعرض عنه اهمالا ولم يحفل به بالا ولم يفده حرفا بل يبعده عنه ويؤيسه منه .

وقال الشافعي :

إذا رأيت شباب الحي قد نشأوا لا يحملون قلال الخير والورقا
ولا تراهم لدى الأشياخ في حلق يعون من صالح الاداب ما اتسقا
فعدهم واعلم أنهم همج قد بدلوا بعلو الهمة الخرقا

الناكب عن الشيء المائل عنه .

وقال سعيد بن ثابت :

اذا هم القي بين عينيه عزمة ونكب عن فكر العواقب جانبا

وقلال الخير يريد المخابر وقلة كل شيء رأسه والورق بفتح الراء ادم رقاق منها ورق المصحف الواحدة من كل هذا والورق صنعة الوراقة والورق الشجر الواحدة ورقة ايضا الدم الذي يسقط من الجراحة علقا قطعا والورق بكسر الراء اسم الدراهم والورق بفتح الراء من الابل والغنم .

وقال الراجز ؛ ويقال الفرزدق :

اللهم رب البيت والمشرق والراقصات كل سهب سملق
أياك ادعو فتقبل ملقي واغفر خطاياي وثمر ورقي

السهب ناحية الفلاة لا شكل فيها والجمع سهوب والسملق القاع الأملس .

قال شايق كما كل دار سوف يهلك أهلها وتصبح منهم وهي صحراء سملق والمشرق موضع التشريق بمنى .

وقول الشافعي في حلق يريد في جماعة من الناس الواحدة حلقة مخففة ومنهم من يخفف ويثقل .

وقال بعض الحلقة مخففة من القوم والحلقة مثقلة من الحديد وقوله ما اتسق الاتساق الانضمام والاستواء كما يتسق القمر .

قال الله تعلى : ﴿والقمر اذا اتسق﴾[1] قال الفراء اتساقه امتلاؤه لثلاث عشرة إلى خمس عشرة .

وقال الكلبي اذا اجتمع وتكامل وقوله فعدهم عنك اي اصرفهم يقال عد عنك ذا أي اصرف قال النابغة :

فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له وانم القتود على عيرانة احد

قال الأصمعي : فعد اي انصرف عما ترى من تغيير الدار وما أنت فيه اذا ايقنت أن لا رجعة .

ومنه يقال ما عدوت أن اقبل ذلك أي ما جاوزت .

قال الأصمعي :

عداني أن أزورك أم عمرو دياوين تشقق بالمداد

عداني أي خوفني وديواين جمع ديوان .

ويقال دواوين وانم ارفع ونميت الحديث رفعته عن قائله والقتود عيدان الرجل واحدهما قتدوا لغيرانه ناقة شبهها بالعير في مضيها

(١) سورة الانشقاق الآية ١٨ .

وسرعتها والعير حمار الوحش وهي الناقة الجدعة الشديدة والاحد مونفة الخلق الشديدة ايضا .

قال ابو عمرو : وهي التي تلاحم عظم فقارها وقوله همج فالهمج كل دود يتفقأ عن ذباب او بعوض او اشباه ذلك ؛ وبهم يشبه رذالة الناس وينبغي للعالم ان يكون اوسع الناس صدرا واكثرهم صبرا واجملهم لقاء واحسنهم اخلاقا لان المتعلمين منه والمتحملين عنه يأخذون خلائقه ويحتذون طرائقه فيجب ان يكون لهم إلى اسنى الأفعال منهاجا ومن غيّ الضلال سراجا ويجب على العالم ان يوقر المتعلم كما يجب على المتعلم ايضا له .

وقد روي عن النبي ﷺ من طريق ابن عمر انه قال : وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه العلم وينبغي للعالم ان يختبر المتعلم ليعرف موضعه من المعرفة .

وقال ابو العينا محمد بن القاسم اتيت عبدالله بن داود الخربي لأسمع منه فخرج إليَّ فقلت له إن رأيت أن تحدثني .

قال لي اقرأت القرآن قلت نعم .

قال اقرأ عليَّ واتل عليهم نبأ نوح فقرأته فقال أصبت .

فقال أنظرت في الفرائض .

فقلت قد نظرت في شيء من الكبر وبعض الصلب .

قال أيما اقرب إليك ابن اخيك ام ابن عمك فقلت ابن اخي .

فقال ولم ذلك .

فقلت لأن ذلك من ولد جدي وذا من ولد ابي .

قال اصبت .

قال لي انظرت في شيء من العربية .

قلت نعم .

قال ما معنى قول عمر ـ رضي الله عنه ـ حين طعنه ابو لؤلؤة يا لعباد الله يا للمسلمين ولم يقل يا لعباد الله ويا للمسلمين .

قلت استغاث مما نزل به .

قال اصبت .

قال لو كنت اليوم محدثا لحدثتك فقد اختبره ليعرف موضعه ويقف على ما معه فيعطيه من التعلم والتعليم حقه ولا يبخسه فيه حظه ولام الاستغاثة مفتوحة .

قال الشاعر :

يا لقومي هل منجا من الهرم ام هل على العيش بعد الشيب من ندم ؟

ولام التعجب مكسورة كقولك يا لزيد .

الباب الثاني عشر

ما يجب على المتعلم لمعلمه وما يؤمر به من الآداب في تعليمه

اعلم أن الذي يجب على المتعلم لمعلمه أشياء كثيرة يطول بها الكتاب ولا يستوعبها باب فأولها اذا جاء إلى مجلسه أن يسلم على أهل المجلس عامة ثم ليفرده بالسلام خاصة ثم ليجلس بين يديه متذللا وبوجهه عليه مقبلا وليقل النظر اليه وليتواضع له ويعظمه ويبجله ولا يسأله في أول لقية بل يعاوده مرة بعد مرة ثم يسأله التعليم فإن أجابه شكر له ودعا له وان منعه عذره وانصرف عنه فربما كان ذلك من العالم نظرا في امره واستبراء لرغبته ثم ليعاوده صابرا على ترداده ولا يضجر ليظفر بمراده وليرفق له في أقواله ويتملق إليه بفعاله .

وقد روي عن النبي ﷺ انه قال ليس الملق من أخلاق المؤمن الا في طلب العلم والملق هو التودد واللطف الشديد .

يقول انه لملاق متملق ذو ملق ولا يقال منه ملق بملق والفعل منه تملق يتملق تملقا والإملاق كثرة انفاق المال والتبذير حتى يورث الحاجة ؛ وفي القرآن خشية املاق أي خشية الفقر والحاجة .

يقال اخفق واملق واورق وفي الحديث ان امرأة سألت ابن عباس انفق من مالي ما شئت .

قال نعم أملقي من مالك ما شئت فيجب للمتعلم ان يتملق في طلب العلم .

جاء عن النبي ﷺ وقد قال بعض الحكماء من لم يحتمل ذل التعليم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا .

قال الشاعر :

بَنيَّ إذا ما سامك الذل قاهـ ـر عزيز فإن الذل للعز أحرز
فلا تحملن يوما عليه تعززا فقد يورث الذل الطويل التعزز

وعن ابن عباس انه قال : ذللت طالبا فعززت مطلوبا .

وروي انه كان ينام على أبواب الصحابة في الهواجر حتى تلفح وجهه الشمس للتعليم منهم .

وعن النبي ﷺ ليس من أخلاق المؤمن المكر والخديعة إلا في العلم .

وقال بعض حكماء الفرس إذا قعدت وأنت صغير حيث لا تحب قعدت وانت كبير حيث تحب .

وقال الخليل كنت إذا لقيت عالما تذللت له لطلب ما عنده فاذا رام ذلك مني تذللت له لطلب ما عندي فأخذت منه واعطيته .

وقيل له بما ادركته هذا العلم قال كنت اذا لقيت عالما أخذت منه واعطيته ؛ ويجب عليه ان يبجله في الاقوال ويجله في الاحوال ولا يخاطبه مخاطبة العوام ويكرمه كل الاكرام .

قال النبي ﷺ من أكرم عالما فقد اكرم سبعين نبيا ومن اكرم متعلما فقد اكرم سبعين شهيدا ومن احب العلم والعلماء لا تكتب عليه خطيئته ايام حياته .

ومن طريق عائشة عنه ﷺ أنه قال : من وقر عالما فقد وقر ربه عز وجل .

وعنه ﷺ ما اكرم شاب شيخا لكبر سنه الا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه ويجب أن يعرف له فضله ويشكر له فعله .

فقد قال علي بن ابي طالب : لا يعرف أهل الفضل الا أهل الفضل ومن أكرم معلمه كان معترفا بفضله ومتصفا له في فعله ومن لم يوف له حقه في الإنصاف فقد كفره واجب الاعتراف ومنع نفسه حظا جزيلا وحرمها شيئا جميلا .

وقال بعض الشعراء :

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذاهما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه واصبر لجهلك ان جفوت معلما

ولا يمنع المتعلم من ذلك علو منزلته وخمول معلمه فإن العالم إنما يستحق التعظيم بالعلم الجليل بالمال الجزيل .

وقال ابن دريد :

لا تحقرن عالما وإن قصرت الحاظه في عيون رامقه
وانظر إليه بعين ذي أدب مهذب الرأي في طرائقه
فالمسك بينا تراه ممتهنا بفهر عطاره وساحقه
حتى تراه في عارض ملك أو موضع التاج من مفارقه

وقيل حمل العلم على ثلاث خصال اخذ عن اهله والصدق في نقله والاقرار للمتعلم منه بفضله وتأدية العلم على خصلتين تأديته إلى من يستأهل أن يؤدي إليه وصيانته عمن لا يؤمن عليه ، فليحذر المتعلم الادلال على معلمه وان حسنت عنده حالته وارتفعت لديه منزلته وطالت له صحبته فإن الادلال على العلماء من فعل الجهال وفيه فساد الأحوال .

وقد قيل لبعض الحكماء من أذل الناس ، فقال عالم يجري عليه حكم جاهل ويجب أن لا يظهر له الاستكفاء منه ولا الاستغناء عنه فإن ذلك كفر لما اولاه واستخفاف بحقه ولا يقصده بتعنت في سؤال ولا يعتمده بتنكيد له بحال فإن أخذ من العلم حظا وحوى منه صدرا وحفظا فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لابن البطحاء :

أعلمه الرماية في صباه فلما اشتد ساعده رماني

ويروى لغيره :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فمن رواه اشتد بالشين فمعناه اشتد وقوي ومن رواه استد بالسين فمعناه لما تسدد لقصد الرمي والساد القصد ومنه التسديد ؛ وهذه الحالة من مصائب العلماء أن يستجهلهم من علموه ويسترذلهم من خرجوه وفهموه .

وقد قال النبي ﷺ عندما كلمته ابنة حاتم ؛ فقال لها من انت .

فقالت : ابنة الرجل الجواد حاتم .

فقال عليه الصلاة والسلام : ارحموا عزيز قوم ذل وارحموا غنيا افتقر وارحموا عالما ضاع علمه بين الجهال .

وقال صالح بن عبدالقدوس :

وإن عناء أن تعلم جاهلا ويحسب جهلا أنه منك أعلم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
متى ينتهي عن سيء من أتى به إذا لم يكن منه عليه تندم

ويجب أن يمثل له قائما ويكون له طائعا خادما فإن في ذلك له المنفعة وهو ثواب وشرف لا منعة وأن يلبيه إذا دعاه ويحفظ حقه ويرعاه

يصبر على لائمته ويشكره لفائدته ويكون له ذليلا خاضعا ولأمره طائعا سامعا وإلى إرادته مسارعا وأن يترحم عليه حيا وميتا ويذكره بالجميل حاضرا وغائبا ويرفع إليه ما يسمع منه ويسند عليه ما حفظ عنه فان ذلك من أدب العقل وصدق النقل وحق العلم وليصبر في التعليم على الغدوّ والرواح وتعب المساء والصباح .

فقد روي عن النبي ﷺ انكم لن تنالوا ماتحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون الا بترك ما تشتهون .

وقال بعض الحكماء قدم لحاجتك بعض لجاجتك وفي منثور الحكم اتعب قدمك فكم تعب قدمك .

وقال بعض البلغاء اذا اشتد الكلف هانت الكلف .

قال علي بن ابي طالب :

لا تفرحن ولا تدخلك مضجرة فالنجح يهلك بين العجز والضجر

ويجب أن يمثل إلى العلوم إلى ما تميل إليه نفسه ولا يكرهها على ما لا تميل إليه ولا يتكلف الحرص عليه فان النفس غير اخذة ما لا تهواه .

فقد قال علي بن ابي طالب إن القلب إذا اكره عمي ، وقال بعضهم :

لا تطلبن سوى ما النفس طالبة فربما فاتك الأمران ثم معا

ويجب ان لا يكون مأخذه هذا الفن تاركا لما سواه من الفنون بل يرغب نفسه في غيره ويشهيها ويحببه إليها ويمنيها ولا يكون عن غير ما رغب فيه من الفنون راغبا ولمحتمله عائبا بل يكون فيه راغبا وله معظما طالبا فإن قليل العلم كثير وصغيره كبير .

قال الشاعر :

ترق إلى صغير الأمر حتى يرقيك الصغير إلى الكبير فتعرف بالتفكر في صغير كبيرا بعد معرفة الصغير

وقد قال بعض الحكماء : عليك بالعلم والاكثار منه فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير وكثيره أشبه شيء بكثير الخير ولن يعيب الخير الا القلة فأما كثرته فإنها امنية ويجب إذا ظفر بمعلم أن يلزمه فربما عظم أسفه إن عدمه ولينتهز فرصته باخذه عنه وليستفد غنيمته منه فليس في كل أوان للبغية امكان وربما شح الزمان بما تسمح وضن بما منح والاشغال صادة والاحوال رادة ويجب ان لا يفرغ جهده في التعليم فيفضي به ذلك إلى الملال والترك والاهمال .

وقد قالت الحكماء طالب العلم وعامل البر كآكل الطعام ان أخذ منه قوتا عصمه وإن أسرف فيه بشمه وربما كان فيه منيته وينبغي أن يريح قلبه في الأوقات ويخفف عنه في الساعات .

فقد روي عن النبي ﷺ إن القلوب تموت وتحيى ولو بعد حين .

وقال ابن مسعود : للقلوب شهوة واقبال وفترة وادبار فأتوها من قبل شهوتها ولا تأتوها من قبل فترتها .

وقال علي بن ابي طال : إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فأريحوها .

وقال الشاعر :

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

وينبغي أن لا يعتمد حفظه فيغفل بتقييد العلوم فإن النسيان آفة الحفظ .

وقد روي عن النبي ﷺ من طريق أنس أنه قال قيدوا العلم بالكتاب وعن أبي هريرة قال كان رجل يشهد معنا حديث النبي ﷺ فلا يحفظه فإذا خرجنا سألني فأفهمه فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال استعن بيمينك .

قال وكيع يعني اكتب .

قال الشاعر :

والعلم ننساه إذا لم يقيد في الكتب ويجب أن يدع العجب جانبا

ولا يرضاه صاحبا فإنه يقبح بالأولياء ويزري بالأدباء وينبغي أن يعلم أن العلم يمنع من العجب وأن يعلم أن ما علمه قليل نزر فيما لم يعلمه فإنه حتى يموت متعلما محتاجا فما وجه العجب ويجب أن لا يدع التعليم لكبر سنه فلا يكون شيخا متعلما اولى من ان يكون شيخا جاهلا .

وقال المأمون لعمه ابراهيم بن المهدي والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل .

قال وإلى متى يحسن بي طلب العلم .

قال ما حسنت بك الحياة والجهل بك قبيح وبالكبير اقبح وهو وأسمج وإلى التعليم افقر واحوج .

وقال بعض الأدباء :

إذا لم يكن مر السنين مترجما عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما ينفع الاعوام حين تعدها ولم تستفد فيهن علما ولا فضلا
أرى الدهر من سوء التصرف مائلا إلى كل ذي جهل كان به جهلا

ويجب أن لا يستصعب التعليم ولا يستضعف نفسه عنه فإن الهيبة تورث الخيبة .

قال الشاعر :

لا تكونن للأمور هيوبا فإلى خيبة يصير الهيوب

وقال آخر :

إذا هبت مركبا فقع فيه فإنما هيبته توقيه

ويجب له اذا حضر مجلس معلمه أن لا يسي فيه آدابه ولا يعترض عليه جوابه كما فعل الفرزدق في مجلس الحسن فيستخرق حدث ابو بكر الهذلي .

قال جاء الفرزدق إلى مجلس الحسن وقد حشد فتحظى القوم حتى جلس إلى جنبه فجعل لا يسأل الحسن عن شيء الا بدره بالجواب .

فقال ألم تسمع ما قلت في هذا وسأله رجل عن رجل حلف .

وقال لا والله وبلى والله ولم يرد عقد يمين فبدره بالجواب .

وقال الم تسمع ما قلت في هذا .

فقال وما قلت .

فقال :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وجاءه رجل آخر قال يا أبا سعيد انا نكون في المغازي وان احدنا يصيب المرأة أيحل له غشيانها .

فقال الفرزدق : اما سمعت ما قلت في هذا .

فقال الحسن ليس كما قلت قد سمعت الناس ما قلت .

فقال قلت :

وذات حليل انكحتها رماحنا جهارا لمن يبني بها لم تطلق

وكان لا يسأل الحسن عن شيء الا بدره الفرزدق فأجابه فيه بشعره وهذا هو الجهل والحمق وسوء الأدب والخرق تقول اخرق الرجل يه يخرق من الحمق فهو اخرق وخرق بخرق بالشيء فهو اخرق اي فلا يحسن العمل بيده والخرق نقيض الرتق وصاحبه اخرق والخرق من الفتيان الظريف في سماحة ونجده .

قال :

وخرق يرى الكأس أكرومة يهين اللجين لها والنظارا

والنظار الذهب واللجين الفضة .

الباب الثالث عشر
في أدب المسؤول والسائل والفتيا والجواب عن المسائل

السؤال يهمز ولا يهمز لغتان تقول سأله وساله وسألته وتسيله وسأل وسيل ويسال وقد قرأ كما سيل موسى من قبل وهي لغة من لا يرى الهمز .

قال الشاعر :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هـذيل بمـا قـالت

وهو من السؤال إلا أنها لغة من لا يهمز .

وقال آخر :

سـالتـاني الـطلاق اذ رأتـاني قل مالي قـد جيتماني بهجـر

ويروى بسكر فلم يهمز .

وقال الغراء ؛

أقول لها اذا سـالت طلاقـا الام تسـارعـين إلى طـلاقي

ويروى فراقي وقرأ اهبطوا مصر فإن لكم ما سالتم وبعضهم ساءلتم فجمع بين ساكنين وبعضهم يجعله من اولاد الثلاثة فيقول سالتم بكسر السين وأنتم تسالون مثل ما خفتم وتخافون .

قال الفرزدق :

تعالوا فاسألوا بعلم الناس أينا لصاحبه في أول الدهر تابع

وعن ابن عباس انه قرأ ولا يسال عن أصحاب الجحيم بفتح الياء وجزم اللام تقول سألت فلانا مسألة بالهمزة وسالته سؤالا بلا همز وساله